جامعة الجيلالي بونعامة– خميس مليانة–

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

شعبة الفلسفة

مقياس الفكر الخلدوني

لطلبة السنة الثانية ليسانس تخصص فلسفة

إعداد :الأستاذ/ اسماعيل عكاك

السنة الجامعية 2021–2022

مقدمة

إن أول ما يلفت الانتباه في هذا المقياس هو التسمية المكونة من شقين : الشق الأول تمثله كلمة " الفكر " و الشق الثاني و تمثله كلمة " خلدون" ، و بإمعان النظر إلى الشقين ندرك دون عناء تفكير بأن المقصود بالتسمية بشقيها هو الفكر الذي أبدعه العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، و الذي اصطلح على تسميته ب :" الفكر الخلدوني" .

سنحاول من خلال هذه المحاضراتالمختارة التركيزعلى بعض الأفكار المهمة عند ابن خلدون التي ساهمت في إبراز عالمية فكره والتي تجاوز بها عصره ومنها :

- التعريف بالفكر

التعريف بصاحب الفكر من حيث اسمه ونسبه وبعض ملامح شخصيته

- نشأة الفكر الخلدوني والعوامل المؤثرة فيه .

-موقف ابن خلدون من الفلسفة

- ابن خلدون ومنهجه الفكري

- علم التاريخ وأهميته عند ابن خلدون

- علم العمران البشري عند ابن خلدون

- نظرية العصبية في الفكر الخلدوني

- نظرية نشأة الدولة وانهيارها عند ابن خلدون

- نظرية التربية والتعليم في الفكر الخلدوني.

وفيما يلي قائمة بعناوين المراجع للاستفادة منها :

-الفكر الخلدوني من خلال المقدمة – محمد فاروق النبهان ، ط1 ، مؤسسة الرسالة 1998

-عبقريات ابن خلدون – علي عبد الواحد وافي ، مكتبات عكاظ ، جدة ،ة 1984

-في علمية الفكر الخلدوني– مهدي عامل ، دار الفرابي بيروت 1985

-التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون – محمد عبد الحليم عويس ، شبكة الألوكة ، ط1 1996

-ابن خلدون إنجاز فكري متجدد ، محمد الجوهري وحسن يوسف

-فكر ابن خلدون – العصبية والدولة – معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي – محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ط6 1994

-فلسفة الإنسان عند ابن خلدون ، الجيلاني بن التهامي مفتاح ، دار الكتب العلمية ، ط 2011 ، بيروت

أولا : **الفكر وأهميته عند ابن خلدون**

الفكر هو نشاط يصدر عن العقل الذي ساوى به الله سبحانه و تعالى بين جميع الناس ودعاهم إلى توظيفه في حياتهم باعتباره مركز التفكير وأداة للتعلم ، فما مفهوم الفكر ؟ وكيف عرفته المعاجم اللغوية و تحدثت عنه الدراسات العلمية ؟

1- الفكر في اللغة:

عرف ابن منظور في لسان العرب الفكر بقوله: والفكر: إعمال الخاطر في الشيء، والتفكر اسم التفكير، ومنهم من قال فكري، ورجل فكير: كثير التفكير، وقال الجوهري: التفكر: التأمل.

وعرفه الفيروز آبادي في القاموس المحيط بقوله: الفكر، بالكسر ويفتح، إعمال النظر في الشيء كالفكرة.

وعرفه صاحب (المعجم الوسيط) بقوله: "الفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول، ويقال لي في الأمر فكر ، أي نظر ورؤية، [و] الفكرة: الصورة الذهنية لأمر ما"، ومنها: أفكر في الأمر، فكر فيه، فهو مفكر.

وأفتكر تذكر، وفي الأمر أعمل عقله فيه، ومنها تفكر، والتفكير إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، ومنها الفكير: الكثير التفكير.

2- الفكر في الاصطلاح :

ذكر صاحب الموسوعة الفلسفية عدة تعريفات منها: الفكر هو النتاج الأعلى للدماغ كمادة ذات تنظيم عضوي خاص، وهو العملية الإيجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم وأحكام ونظريات (...) هو الشرط الجوهري لأي نشاط آخر، طالما أن هذا النشاط هو نتيجته المجملة والمتمثلة، والكلام هو صورة الفكر".

الفكر أيضاً اتجاه يرتبط به الإنسان بعد تفكير لاختيار توجه يقيم على أساسه نهج حياته والقيم الإنسانية التي يسير عليها، والاتجاهات الفكرية تتقاطع فيما بينها بشكل كبير، كما أنه يمكن لأي إنسان اتخاذ مجموعة من المباديء التي لا تنتمي لتوجه فكري معين واعتبارها توجهاً فكرياً خاصاً.

يقول جميل صليبا: "وجملة القول إن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس".

ومن أحسن التعريفات التي تناولت موضوع الفكر، هذا التعريف الذي جاء به محمد عابد الجابري حيث فرق في كتابه (إشكاليات الفكر العربي المعاصر) بين ثلاثة مستويات من الفكر:

الفكر كأيديولوجيا بمعناها الواسع العام.

والفكر كأداة.

والفكر كمحتوى.

ويعرف الفكر كأيديولوجيا بمعناها الواسع بأنها "مضمون الفكر ومحتواه، أي جمله الآراء والأفكار التي يعبر بواسطتها هذا الشعب أو ذاك عن مشاكله واهتماماته، عن مثله الأخلاقية ومعتقداته المذهبية وطموحاته السياسية والاجتماعية، وأيضاً عن رؤيته للإنسان والعالم".

ويعرف الفكر كأداة بأنه: "أداة لإنتاج الأفكار سواء منها تلك التي تصنف داخل دائرة الأيديولوجيا أو داخل دائرة العلم، هو أداة بمعنى أنه جملة مبادئ ومفاهيم وآليات، تنتظم وتترسخ في ذهن الطفل الصغير منذ ابتداء تفتحه على الحياة لتشكل

فيما بعد "العقل" الذي به يفكر، أي الجهاز الذي به يفهم ويؤول ويحاكم، ويعترض، وهي عبارة عن عناصر متداخلة ومتشابكة بصورة تجعل منها بنية: أي منظومة من العلاقات الثابتة في إطار بعض التحولات، الأمر الذي يعني أن الفكر أداة تعمل بثوابت معينة وأن عملها ذاك لا يخترق حدوداً معينة كذلك، هي الحدود التي تنتهي عندها التحولات والتغيرات التي تقبلها تلك الثوابت، أي التي لا تمسها في ثباتها وتماسكها".

والفكر كمحتوى هو: "جملة من الأفكار والآراء والنظريات تنتظمها عناصر ترتبط بعلاقات بنيوية، علاقات تجعل منها أجزاء تستقي دلالتها ووظيفتها من الكل الذي تنتمي إليه، وهي بنية من التصورات، ومن الآراء والأفكار والنظريات".

ويربط الجابري بين الفكر كأداة والفكر كمحتوي ويقول" المبادئ والمفاهيم والآليات الذهنية التي يفكر العربي بواسطتها هي علي الرغم من طابعها كلي إنساني، ذات طابع خصوصي أو فيها جوانب من الخصوصية تسمح وتبرر وصف الفكر الأداة الذي تشكله بأنه "عربي"، تماماً مثلما أن الآراء والأفكار والنظريات التي ينتجها المثقف العربي المؤطر بمحيطه العربي، الاجتماعي الثقافي، تشكل محتوى فكريًّا "عربيًّا" ليس فقط لأنه يتناول قضايا عربية أو قضايا إنسانية في بعدها العربي بل أيضاً لأنه نتيجه قراءة تتخذ المحيط الاجتماعي الثقافي العربي إطاراً مرجعياً لها...وإذاً فالفكر العربي هو في آن واحد أداة ومحتوى أو بنية عقلية وبنية أيديولوجية (بالمعني العام والواسع لكلمة أيديولوجيا)(24).

من أشهر التوجهات الفكرية التي أثرت في الناس:

الفكر الليبرالي ، الفكر الماركسي ، الفكر اللينيني الماركسي ، الفكر الشيوعي، الفكر الديني، الفكر الإسلامي، الفكر الإلحادي ، الفكر الرأسمالي، الفكر الميكافيلي، الفكر الخلدوني... .

أهمية الفكر الخلدوني:

تكتسي دراسة الفكر الخلدونيأهمية قصوى, وذلك لأنها تمنح الباحث القدرة علي فهم التطور الفكري للإنسان ، والعوامل المؤثرة في هذا التطور، كما أنها تسمح له بتحديد أهم التوجهات الفكرية التي أثرت في الإنسان ، وصولا إلى معرفة أهم المعارف الإنسانية التي أسهمت في تطوير الإنسان وتقدمه ، فالإنسان من منظور ابن خلدون يتميز بأنه كائن مفكر لم يتوقف لحظة عن التفكير في ذاته, والبحث عن ماهيته, وعن قضية وجوده, وعن العناصر المحيطة به ، وكيف يتعامل معها ، ولذلك فإن الفكر قديم قدم الوجود الإنساني ، وقرين ذلك الوجود .

لقد أكد ابن خلدون بأن الإنسان بحكم القدرة التي وضعت فيه تسنى له ترتيب وتنظيم أفعاله الصادرة عنه ، عكس ما هو قائم عند الحيوان ، لأن بالفكر يدرك الترتيب بين الحوادث بالطبع أو بالوضع ، فالإنسان لا يستطيع أن يتأقلم مع الوسط الذي يعيش فيه إلا بقدرة العقل الذي مكنه من أن يؤسس نظامه المعيشي داخل نسق فكري منسجم منظم ، وإلا انقرض ، وهذا هو الفرق بينه وبين الحيوان العاجز عن إحداث هذا الترتيب والاتساق لانعدام العقل .لذلك فالحيوانات إنما تدرك بالحواس ومدركاتها متفرقة خالية من الربط لأنه لا يكون إلا بالعقل ، بهذا استولى الإنسان على هذا العالم وما فيه من الكائنات التي خلقت مسخرة لخدمته تابعة له بحكم سلطان العقل الذي تميز به .

الفكر من منظور ابن خلدون هو فضيلة بشرية تميز بها الإنسان عن الحيوان ، وعلى قدر حصول الأسباب والمسببات في الفكر مرتبة تكون إنسانيته ." والله خلق الإنسان وفضله على كثير مما خلق تفضيلا ، مادام عاجزا عن العيش بمفرده ، فهو في حاجة إلى التعاون والاحتكاك مع غيره من بني البشر ، هذا التفاعل الذي يولد

المنازعة والمشاجرة ، الألفة والعداوة وبالعقل الذي جعله الله فيه يحدث الانتظام والانسجام والترتيب .

وهكذا حظي موضوع الفكر الخلدونيباهتمام العديد من الدارسين والباحثين في حقل العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية باعتباره ثورة معرفية تجاوز بها عصره ، حيث حاول توظيفه في معالجة قضايا متعددة تمثلت أساسا في طرح نظرية إنسان الخلافة والتنظير لحركة الحضارة الإنسانية وبيان السنن الإلهية التي تتحكم فيها .

ولأجل ما لهذا الفكر من أهمية تركزت جهود الباحثين والدارسين في تتبع سمات عبقرية ابن خلدون والتي ميزت أعماله وبدت جلية في آثاره ومؤلفاته.

و خلاصة ما يمكن قوله في موضوع الفكرالخلدونيبأنه :

ذلك الجهد الخلاق الذيبذله ابن خلدون لفهم كافة الظواهر و الأحداث المحيطة به فهو نشاطه الذهني الذي تجلى في آرائه حول الإنسان و معتقداته و تصوراته و عواطفه و مفاهيمه وحول عناصر الواقع المحيطة به.

فمنذ أن ظهر الفكر الإنساني وهو يسعى إلى إبداع النظريات لترقية حياة الناس ، وعليه فإن أهمية التفكير في حياة الإنسان تكمن فيما يأتي:

- التجاوب مع المستجدات: إن عملية التفكير ترتبط بقدرة الإنسان على التجاوب مع كافة المستجدات التي تطرأ عليه في حياته، وتجعله يتكيف مع الوضعيات الجديدة التي تحدث معه في بيئة العمل أو البيئة الأكاديمية، من خلال تحديد أسلوب التعامل الذي يتناسب مع المستجدات، واستغلال الفرص المتاحة والتعامل معها بذكاء.

- تطوير الذات: إن مجمل المعرفة الإنسانية التي يتحصل عليها الإنسان في حياته تتم بواسطة تلقّيه للعلوم المختلفة من خلال عمليات التفكير المرتبطة بالتعلّم، فمسألة تلقي المعلومات العلمية، وربطها بالمعرفة السابقة، وتذكرها في الوقت

المناسب، وتوظيفها في تحصيل المعرفة الجديدة تتم من خلال عمليات التفكير في العقل البشري ومن هنا تبرز أهمية التفكير في حياة الإنسان.

أ- الفكر بمعنى إعمال النظر والتأمل في مجموعة من المعارف، بهدف الوصول إلى تحقيق معرفة جديدة.

ب- الفكر بمعنى الثمرة التي تنتج عن عملية التفكير.

ج- إن التفكر عملية عقلية تستخدم فيها كل الوسائل المساعدة للوصول إلى حقيقة الدنيا والآخرة.

د- الفكر مرادف للنظر، وهو إعمال العقل في الأمور المختلفة للوصول إلى أمر جديد.

هـ- التفكير تمرثه التذكير.

التّفكير الإبداعي هو النّظر إلى شيء ما بطريقة مختلفة وجديدة، وهو ما يُعرف بالتّفكير خارج الصّندوق، حيث يشتمل على التّفكير الجانبيّ أو القدرة على إدراك الأنماط غير الواضحة في أمر ما، كما يمتلك الأشخاص المبدعون القدرة على ابتكار وسائل جديدة لحلّ المشكلات ومواجهة التّحديات.

ثانيا: التعريف بصاحب الفكر :

يعرف ابن خلدون نفسه بأنه : عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون ، يرجع نسبه إلى الصحابي وائل بن حجر ، من القبائل العربية اليمنية .

ولد ابن خلدون في هذا الحسب العظيم في تونس في غرة رمضان سنة 732هـ الموافق للسابع والعشرين من شهر مايو سنة 1332م. كان يضيف صفة الحضرمي إلى اسمه لأن أسرته ترجع إلى حضرموت ، من عرب اليمن ، وكان منذ صغره محبا للعلم الذي أخذه عن أبيه الذي كان عالما، وعن عدد من العلماء المعاصرين لأبيه في تونس، "فدرس العلوم الشرعية، واللغة العربية والعلوم الطبيعية والرياضية وعلوم المنطق والفلسفة".

بعد وفاة أبيه وعدد كبير من العلماء بوباء الطاعون، هاجر إلى المغرب الأقصى،حيث ترك العلم واتجه إلى السياسة.توفي عن عمر يناهز السبعين عاما،في 5رمضان سنة 808هـ، الموافق لـ 1406م،ولا يعرف لقبره مكان محدد.

وقد كان كثير من شيوخه قد جمعوا بين السياسة والعلم وهو ما يفسر انخراط ابن خلدون المبكر في السياسة على غير طريقة والده الذي آثر هجرها خلافا لسلفه.

ملامح شخصيته ومراحل حياته:

1- ملامح شخصية:

اتصف ابن خلدون بعدد من الصفات التي انفرد بها عن غيره من أبناء عصره، لخصها لسان الدين بن الخطيب في قوله : " الرجل الفاضل ، حسن الخلق ، جم الفضائل ، باهر الحصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاص الزي ، عالي الهمة ، عزوف عن الضيم ، صعب المقادة ، قوي الجأش ، طامح لقنن الرياسة ، خاطب للحظ ، متقدم في الفنون العقلية والنقلية ، متعدد المزايا ،

سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، مغري بالتجلة ، جواد الكف ، حسن العشرة ، مبذول المشاركة ، مقيم لرسوم التعيين ، عاكف على رعي خلال الأصالة ، ومفخرة من مفاخر التخوم المغربية "

2- مراحل حياته : ويمكن تقسيمها إلى:

1- مرحلة النشأة والتلمذة:

وهي ما بين (732هـ -751هـ) وقد قضى هذه المرحلة في مسقط رأسه بتونس، في حفظ القرآن الكريم وتجويده بالقراءات والتعلم على والده وغيره من شيوخ بلده حيث يقول: "أما نشأتي فإني ولدت بتونس في غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وربيت في حجر والدي رحمه الله إلى أن أيفعتُ". وفي هذه المرحلة من حياته في سنة (749هـ) حدث الطاعون الجارف، أو الفناء الكبير الذي عم معظم أجزاء العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وهلك فيه أبواه وعددٌ من الأعيان والصدور وجمعٌ من أساتذته الذين كان يأخذ عنهم العلم، فترك في نفسه الشيء الكثير.

2- **مرحلة الوظائف** وهي ما بين (751- 776هـ) فيها تنقل بين تونس وفاس وبجاية وتلمسان وبسكرة، وبعض بلاد الأندلس، ويمكن إجمال أهم هذه الوظائف فيما يلي:

ففي سنة (751هـ) تولى أول وظيفة، وهي كتابة العلامة في عهد الوزير الحفصي في تونس في ذلك الوقت، وفيها عينه السلطان) أبو عنان (عضواً في مجلسه العلمي، وفيها وجد الفرصةَ للقراءة على العلماء الذين كانوا قد خرجوا من تونس إلى فاس بسبب الطاعون، وفي هذا يقول: "وعكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من أهل المغرب وأهل الأندلس الوافدين في غرض السفارة، وحصلت على الإفادة منهم على البغية..." وفيها تعرض للسجن لمدة عامين (758-760هـ) بسبب وشاية من أعدائه عند السلطان أبي عنان حيث يقول: "كان اتصالي بالسلطان أبي عنان آخر سنة ست وخمسين، وقربني وأدناني واستعملني في كتابته، حتى تكدر

جوي عنده..." وقال: "وكان فيما أنمي إليه أني داخلته في ذلك، فقبض علي وامتحنني وحبسني وذلك في ثامن عشر صفر سنة ثمان وخمسين.

وفي الفترة بين (765 – 766هـ) خرج ابن خلدون فيها إلى الأندلس، وكان سلطانها في ذلك الوقت) محمد بن يوسف بن إسماعيل (ثالث ملوك بني الأحمر، وكان وزيره)لسان الدين بن الخطيب (الذي كانت تربطه بابن خلدون صداقة قديمة، فاهتم به، ولعل من أهم الأعمال التي قام بها في هذه الفترة أن السلطان أرسله إلى قشتالة لمقابلة الملك النصراني لإبرام صفقة معه وبناء علاقات بينهما، فقام بالمهمة خير قيام، وسُرَّ منه ملك قشتالة، وأعطاه الكثير من الهدايا وعرض عليه البقاء معه، وكافأه وزاد من رزقه وتحسنت بذلك أحواله، ثم ساءت بعد ذلك العلاقة بينه وبين صديقه ابن الخطيب بسبب الدسائس بينهما، وكان لابن الخطيب في ذلك الوقت مكانة مهمة عند السلطان (محمد بن يوسف) مما أثر على رأي السلطان، فحدثت بينهما جفوة انتهت بخروجه من الأندلس، ورجوعه إلى فاس.

أما الفترة بين (767 – 774هـ) فقد ابتعد ابن خلدون فيها عن الوظائف السياسية، حيث عرض عليه الأمير) أبو حمو (سلطان تلمسان منصباً رفيعاً فرفض ابن خلدون ذلك، لأنه كان قد عزف عن شؤون السياسة في ذلك الوقت، وكان يرغب في التفرغ للعلم.

3مرحلة التفرغ للتأليف :

بدأ ابن خلدون التأليف والتدوين وهو ابن العشرين من عمره واستمر على ذلك في حياة مليئة بالعطاء،فأورث لنا مجموعة قيمة من الكتب،مختلفة المواضيع والاهتمامات.

قسمت مؤلفاته إلى قسمين رئيسين:

مؤلفات الشباب هي كما حصرها لسان الدين بن الخطيب : لباب المحصل ، وتلخيص مؤلفات ابن رشد،وملخصات في المنطق،وملخصات في الحساب ،وتلخيص لبعض مؤلفات ابن عربي وقد طبع منها اللباب فقط.

.مؤلفات الكهولة التي لم يصل منها سوى: " كتاب العبر"ويشتمل على "المقدمة" وثلاث كتب،وشفاء السائل في تهذيب المسائل،وكتب ورسائل خاطب بهامعاصريه أمثال بن الخطيب،أما رسالته عن شمال إفريقيا التي وضعها لتيمورلنكفلم يعثر عليها .

تجدر الإشارة هنا إلى أن أهم مؤلفات ابن خلدون تتمثل في كتاب العبر الذي نال القسط الأوفر من الاهتمام والتمحيص،فكتاب العبر يصنف من أهم كتب التاريخ،و"المقدمة"(الجزء الأول من هذا الكتاب)حظيت بما لم يحظ به كتاب العبر نفسه،من تهافت الباحثين على دراستها أو ترجمتها،ذلك لأنها ليست كباقي المقدمات في أبعادهاوفي دلالاتها،حيث اتصفت بالشمولية في جمع العلوم، وتطرقها إلى مواضيع لم تكن معروفة من قبل إلا بشكل سطحي دون أن تشكل علما

4- مرحلة الانتقال إلى مصر :

وتبدأ هذه المرحلة من أواخر سنة (784هـ) وتستمر إلى حين وفاته سنة (808هـ) حيث قضاها في المشرق، وقد عمل خلالها في سلك القضاء والتعليم في الأزهر الشريف، وغيره من المدارس والمساجد الموجودة في مصر في ذلك الوقت. وقال في وصفها: " فرأيت حاضرة الدنيا وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الذر من البشر وإيوان الإسلام وكرسي الملك، تلوح القصور والأواوين في جوه وتزهر الخوانق والمدارس والكواكب بآفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه..." وفي هذه المرحلة لا يمكن إغفال ما حصل معه من شدة وألم، بسبب هلاك جميع أفراد أسرته في البحر، وقد وافق ألماً آخر فقال معبراً عنه: " فكثر الشغب عليَّ من كل جانب، وأظلم الجو

بيني وبين أهل الدولة، ووافق ذلك مصابي بالأهل والولد، وصلوا من المغرب في السفين فأصابها قاصف من الرعد فغرقت، وذهب الموجود والسكن والمولود فعظم المصاب والجزع."

وفي عام (803هـ) التقى القائد المغولي تيمورلانك الذي جاء لاجتياح العالم الإسلامي في ذلك الوقت، رداً على معركة عين جالوت، فوصلت جيوشه إلى حلب فأرسل إليه سلطان مصر وفداً لمفاوضته حتى يرجع عن دخول الشام، وكان على رأس هذا الوفد ابن خلدون لدهائه وقوته في مثل هذا الأمر، وقصته معه مشهورة، ومما جاء في وصفه له، قوله: "...إنما هو شديد الفطنة والذكاء، كثير البحث واللجاج بما يعلم وبما لا يعلم، عمره بين الستين والسبعين.

وعلى العموم كانت حياته حافلة بالمغامرات الشخصية والمفاجئات القدرية، فعلى مستوى المغامرات الشخصية قد نجده تقلب نظرا لطموحه الشخصي الجامح وعلو همته في مناصب سياسية عديدة، وانخرط في كثير من أحداث عصره التي اتسمت بالقلاقل والحروب التي كاد أن يؤدي بعضها بحياته حيث امتحن في إحداها وأودع السجن .

لم تكن مغامراته وتقلباته مقتصرة على عالم السياسة وحدها بل شملت كذلك عالم الأرض، حيث جابت قدماه العالم الإسلامي من أقصى مغربه إلى قلب مشرقه متقلبا بين جباله وسهوله وبحاره وبواديه وحواضره ، حاملا بين جنباته الخيبة والنجاح ، تتنازعه خواطر الأمل والإحباط في عالم عمت فيه قيم الغش والخديعة والنفاق والفتن والحروب حيث اشتعل المغرب الأوسط نارا .

أما على مستوى المفاجئات القدرية التي حدثت له، فكان من أهمها:

الأولى وكانت في مقتبل عمره وتتمثل في الطاعون الجارف الذي أودى بحياة والديه وكثيرا من شيوخه

أما الثانية والتي كانت في أواخر عقود حياته فتتمثل في حادثة غرق زوجته وأولاده في البحر.

ثانيا :نشأة الفكر الخلدوني والعوامل المؤثرة فيه

لطالما اعتبر ابن خلدون من العبقريات العالمية، ومن الأسباب التي ساعدت على بروز فكره، أنه ظهر في عصر غلب عليه الانحلال في العالم العربي الإسلامي، وسيطر فيه الظلام على العقول، فأثارابن خلدون الانتباه وخطف إليه الأبصار، لأنه جاء كقبس نور لمع في ذلك الدجى الحالك. وقد قال توينبي المؤرخ الإنجليزي المهتم بدراسة التاريخ والحضارات في هذا الصدد: "إن نجم ابن خلدون يبدوأكثر تألقا في كثافة الظلام، إن ابن خلدون وحده نقطة الضوء الوحيدة في ذلك الأفق ."

إن دراسة الفكر الخلدوني، تحتم علينا بالضرورة التطرق إلى العصر الذي ترعرع فيه والبيئة التي نما فيها، لما في ذلك من تأثير على شخصيته وبالتالي على تفكيره وعلى المنهج الذي سلكه في مؤلفاته. ولهذا لا بد من معرفة الخصائص المميزة لعصره انطلاقا من المستويات الآتية :.

1- المستوى السياسي :

إن العصر الذي عاش ابن خلدون وعمل فيه، أي القرن الرابع عشر للميلاد، كان من عصور التغيرات: تحول وانتقال نحو التفكك والانحطاط في العالم العربي وتحول وانتقال نحو النهوض والانبعاث في العالم الغربي .

كان العالم العربي في عهد ابن خلدون مفككا ومشتتا، تحكمه دويلات صغيرة لا تكاد تستقر دولة حتى تسقط تحت ضربات العدو، فشاعت الفوضى والذعر وكان كل يوم يسقط حاكم، ويظهر حاكم جديد، والناس في حالة حرب دائمة. وتحولت

الإمبراطورية الإسلامية من الحالة الهجومية إلى الحالة الدفاعية، وتراجعت على ثلاث جبهات: اسبانيا، شمال إفريقيا، وفي الشرق".

ولم يكن الانحلال خارجيا فقط، بل تعدى إلى أكثر من ذلك، حيث أن النزاع الداخلي طغى في هذه الفترة، فكان القرن الرابع عشر مميزا بتعاقب ثورات القصور، وتمرد الجماعات القبلية.

كانت هذهالمرحلة إذا، مشحونة بالتوتر والصراعات والحروب، ومحاولات التوسع بين دويلات المغرب، كما حدث أيضا في الأندلس والشام، ولعبت الحروب والدسائس والمكائد دورا فعالا. فكان الجو الذي ساد الوطن العربي سيئا ومترديا: انقسام وحروب داخلية ودويلات صغيرة ، وحروب طاحنة، وحواضر العالم الإسلامي تتساقط الواحدة تلو الأخرى، (فمن سقوط الأندلس إلى بغداد إلى سقوط دولة الموحدين).

أما العالم الغربي كان على عكس ذلك، فقد حاول النهوض بنفسه، وانهمك في إصلاحها، فاستمد القوة من تراث اليونان والرومان وغيرها من الحضارات، وأخذ يحارب الأوضاع الفاسدة، كحرب100 سنة التي زعزعت الغرب، والحروب الصليبية، ولم يكن ابن خلدون بمعزل عن هذه الأحداث العالمية.

2 المستوى الفكري:أثر النشاط الفكري السائد في القرنين الحادي والثاني عشرعلى النشاط الفكري في القرن الرابع عشر، وأدى إلى تصلبه، وتراجعت الفلسفةوتحولت إلى خطابة تعلق، على أعمال ابن رشد وابن سينا والغزاليولم تُثمر شيئا جديدا بمفهومه الحقيقي.

لقد نشأ ابن خلدون في عصر اضمحل فيه التفكير الإسلامي، بسبب الظروف السياسية التي تحدثنا عنها،فكان من نتيجتها (أن المذاهب والنزاعات الفكرية جعلت من الدين وسيلة لبلوغ الحكم وبذلك تَولّد تفكير متحجر يدور في حلقة مفرغة، ويهتم بالنقاشات التي لا تؤدي إلى مخرج (كمشكلة الآيات المتشابهة، والقضاء والقدر،

وقدمالعالم، وصفات الله، وغيرها من المواضيع التي أدخلت المفكرين المسلمين في متاهات يصعب الخروج منها.

من خلال هذا يتبين أن ابن خلدون نشأ في محيط عام اتسم بالانحلال والركود الفكري.

3- المستوى الاقتصادي:

إضافة إلى الجمود الفكري والانحطاط السياسي الذي تميزت به هذه المرحلة التاريخية فإن الحالة الاقتصادية لم تكن أوفر حظا، فهذه الفترة مثلت عهد الارتداد الاقتصادي الذي شهده العالم العربي، وبصفة أخص المغرب العربي،حيث تراجعت تجارة الذهب التي لطالما مثلت مصدر ثروة له. أما في العالم الغربي، فقد نهضت أوروبا عن طريق الرأسمالية التجارية،حيث تخلت أوروبا الغربية عن البحر الأبيض المتوسط للوصول مباشرة إلى مناطق إنتاج الذهب عن طريق المحيط الأطلسي.

4- المستوى الاجتماعي:

إن الحالة الاجتماعية التي سادت في هذه الفترة،لهاعلاقة وطيدة بالحالة الفكرية المزرية التي سبق الحديث عنها، فالعالم العربي كان يعيش حالة تراجع فكري واضح، ويمكن لنا أن نتخيل حياة الناس الاجتماعية وسط هذا الجهل والاضطراب، فلاشك أن تكون شقية تعسة، لا يشعر فيها أحد بالاطمئنان والأمل، ومن ثم تكون حياة الناس قائمة على الانتهاز والجشع، والأنانية والسلب ، إضافة إلى الأحداث السياسية التي جعلت من ابن خلدون الشاهد الحقيقي على الأزمة التي يحياها المجتمع .

5- المستوى الديني :

لقد تميز القرن الرابع عشربسيطرة الطبقات الرجعية من رجال الدين الإسلامي ،كما تميزبالتعصب الديني،فكان هذا العصرعصرالمطاردة والاضطهاد لأولئك العلماء الذين كانوا يشتغلون بالعلم،ولم يكونوا مرتبطين مباشرة برجال الدين.

هذه الفترة من النزاعات السياسية والكساد الاقتصادي واللا استقرار اجتماعي والجمود الفكري،هي الفترة التي ترعرع ونما فيها عبد الرحمان بن خلدون، وهذه هي الظروف التي أثرت على فكره، فجعلته يلمس كل الظواهر التي صادفها اقتصادية، سياسية، ثقافية أوغيرها،أوكما يعرفها المفهوم الخلدوني الشمولي "العمرانية."
وعلى العموم فالعصر الذي عاش فيه ابن خلدون عصرٌ متقلبٌ كثيرُ الأحداثِ، لعلها تشبه ما تمر به أمتنا في أيامنا هذه، حيث تظهر فيه سمة التشتت والوهن في العالم الإسلامي، وذلك بسبب النزاعات السياسية والمذهبية والاجتماعية التي كانت تعصف بالمجتمع في كل مكان في المشرق والمغرب، وقد ذكر ابن خلدون الكثير عن تلك الأحداث.

ويمكن إجمال صورة ذلك العصر بأن أمصار العالم الإسلامي أصبحت في حالة من التفكك وعدم الاستقرار، وفيه بدأ المد الغربي الخارج من ظلماته في ذلك العصر ينظر بعين الشوق إلى محاولة بسط سيطرته على مقدرات الأمة الإسلامية وخيراتها، حيث خرجت أجزاء من بلاد الأندلس من حوزة العرب إلى حكم الإسبان، وبقيت منها منطقة صغيرة في يد بني الأحمر، تشمل غرناطة وما يحيط بها، وكانوا رغم كل هذا في تناحر وخصام.

وللإشارةفي هذا العصر كانت بلاد المغرب مقسمةً إلى ثلاث دول، وهي دولة (بني مَرين) في المغرب الأقصى، وعاصمتها (فاس). ودولة (بني عبدالواد) في المغرب الأوسط، وعاصمتها (تلمسان). ودولة (بني حفص) في المغرب الأدنى، وعاصمتها (تونس) وكانت هذه الدول في تقلّص وتمدّد، حيث كانت كل أسرة من هذه الأسر تحاول السيطرة على الدول المجاورة كلما وجدت إلى ذلك قوة وسبيلاً. وليس حال أهل المشرق بأفضل من ذلك.

في مثل هذا الجو المأساوي المظلم وُلد وعاش ابنُ خلدون، وهو أحد العلماء الذين كان لهم الفضل في تأسيس كثير من العلوم الحياتية كعلم التاريخ وعلم الاجتماع

وغيرهما، ويبدو تجديده في علم التاريخ واضحاً من خلال كتابه القيم (العبر) حيث يستقرئ أحداث التاريخ، الماضي منه والحاضر بطريقة علمية أصيلة، فيحققها ويستبعد منها ما يتبين له فيه من تهافت.

اتسمت الحالة العامة لعصره بالاضطرابات السياسية وتفكك المجتمع ، حيث سادت الفوضى ، وانتهكت الحرمات ، واستبيحت الدماء والأموال وانعدم الأمن والاستقرار ، وأصابت العامة والخاصة معرات وويلات ، واتصف الملوك بالظلم ، والعربدة ، ومعاقرة الخمر ، وإخافة العمران ، حتى إن بعضهم لشدة ظلمه واستهتاره بحقوقالرعية قد نسب إلى الجنون والكفر ، حيث يغشون مجالس العامة دون إذنهم ، ويعتدون على حرماتهم ، ويعبثون بكرامتهم ، وهذه السمة قد طبعت سلوك كثير من الملوك والأمراء وخاصة ممن نشأوا في كنف الترف وأهملت تربيتهم وتأديبهم

ومما يرويه ابن خلدون عنهم أن بعض المماليك قد تمردوا على ملكهم فقتلوه خنقا في محبسه، ثم انطلقت أيديهم على أهل البلد بمعرات لم يعهدوها من أول دولتهم من النهب والخطف وطرق للمنازل للعبث بالحرم وإطلاق أعنة الشهوات والبغي في كل ناحية .

خلاصة القول ، رغم قساوة أحداث ذلك العصر الذي عاش فيه ابن خلدون، ورغم شدة حلكته إلا أن ذلك لم يضعف من عزيمته، بل لقد كانت تلك الأحداث بمثابة الحافز الذي جعله يصوغ نظريات، ويرسم الطريق لمن بعده، فكان ينظر من خلال ما عاين في حياته بعين الحسرة والألم، وينظر بعينه الأخرى المليئة بالأمل إلى مستقبل يتمناه، ليخرج من تلك الأحداث بحلول يراها تساهم في عملية الإصلاح لجيله وللأجيال الإسلامية من بعده، يقول عبدالحليم عويس مبرزا عظمة ابن خلدون: «إن ابن خلدون لم يكن رجلاً يستسلم للفكر الساكن، ولا للواقع الجامد، كما لم يكن رجلاً يقف متفلسفاً أمام الوقائع، أو مسجلاً لها فحسب، بل كان رجلاً من صنّاع التاريخ،

يغوص فيه مهما كانت الأوحال والأخطاء، ويتقلب يميناً ويساراً، لعله يجد ضالته، يتقلب بين ملوك الطوائف لعله يجد فيهم راشداً، أو لعله يستطيع أن ينفخ في جذوة الدولة الأموية الأندلسية المنطفئة، وقد ذاق الرجل السجن والتشريد، ويئس من الناس، ومال إلى العزلة، وكان يملك عقلاً كبيراً قادراً على التفاعل الخلاق، ليس بالثورة ولا بالخيانة للتراث، ولا بالاستعلاء عليه، ولا برميه بالماضوية والجمود، والتاريخية الجامدة، ولكن ببعث الروح فيه، والانطلاق من قاعدته، كما ينطلق الصاروخ إلى الآفاق من قاعدة صلبة مثبتة بالأرض."

ويضيف عويس حول صمود ابن خلدون أمام هذه المحن وحسن تصرفه واتصاله بالقيم المؤثرة: " لقد كان عصر ابن خلدون عصر تقليد وجمود، لكن ابن خلدون أحسن القفز إلى المصادر الأصلية، بعيداً عن ضغوط الواقع الجامد، وعن وطأة اللحظة التاريخية بكل أثقالها السياسية والاجتماعية والثقافية، وأحسن الاتصال المباشر بالقيم والأفكار الدائمة الحياة في القرآن والسيرة والسنة، وعصور الألق والازدهار، والتجارب الوضيئة والمستمرة في العصور» هذا هو الواقع الذي عاشه، وهذه هي معطيات ذلك العصر، فكان كما ينبغي أن يكون، لا تعيقه الأحداث، ولا تحبطه الآلام، إنما تشد من عزمه وعزيمته، وترفع فيه معاني الشوق نحو النجاح، مقتدياً في كل ذلك بمنهج المصطفى صلى الله عليه وسلم من خلال سيرته العطرة، فاهماً لواجبه، عارفاً لوجهته، ينظر بمنظار الأمل بعيداً عن أنواع التشاؤم والخذلان، ويرى الأمور على حقيقتها، فيطلق أفكاره بين الناس قولاً وفعلاً، فيأخذونها بكل شوق وشغف، حتى تصبح ديدنهم، ويلتفون حولها، ويلتف حوله العلماء والمفكرون فيكونون قدوة عملية لأمة واحدة، بهذا وبهذا فقط يمكن لهذه الأمة أن تعود، ويمكن لمسيرتها أن تعود.

رابعا: موقف ابن خلدون من الفلسفة

لقد كان القرن الرابع عشر عصرا ميزه الجمود والانحطاط، وهذا وليد ظروف اجتماعية وسياسية سادت العالم الاسلامي.

اصبح الدين وسيلة لبلوغ الحكم، بدليل ان العديد من المذاهب والنزعات الفكرية اصبحت بمثابة سلاح لتكفير او محاربة النزعات الاخرى، مما نتج عنه تشتت وتمزق اصاب الامة الاسلامية (الشيعة، الخوارج...).

ان هذا التمزق تكرس من خلال تلك المناقشات البيزنطية والمناقشات الكلامية حول القدر والحرية وقدم العالم وصفات الله، وهي عبارة عن مشاكل اضاعت من عمر المفكرين المسلمين الكثير، حتى قيل بانهم ابيضت رؤوسهم ولم نتضج عقولهم. بالاضافة الى ان الشغل الشاغل للفلاسفة انذاك كان الميتافيزيقا او ما وراء الطبيعة، عوض الاهتمام بالواقع الاجتماعي للانسان المسلم.

ان الكثير من الباحثين ومؤرخي الفلسفة يعتبرون ابن خلدون فيلسوفا (تفكير، منهجه، اراءه، ونظرياته)، بحيث اسس لفلسفة التاريخ والحضارة والمجتمع، كما ان له رايا حول العديد من المشكلات الفلسفية.

يرى ايف لاكوست بان ابن خلدون سعى لمواصلة التفكير العقلاني في عصره. وان التيار الذي اوجده ابن رشد في المباحث الفلسفية لم يندثر بعد بل ان ابن خلدون بلور العقلانية في ابحاثه العلمية.

اما ارنولد توينبي هو فيلسوف الحضارة، اما غاستون بوتول فيرى بانه فيلسوف اجتماعي.

لقد خصص ابن خلدون فصلا في كتابه المقدمة لتحديد موقفه من الفلسفة. انه يرفضها لان يطلب العلم، فهو لا يثور على الفلسفة كتفكير عقلاني منطقي، بل كوسيلة في البحث عن الميتافيزيقا (عبث ومضيعة للوقت)، لانها لا تعالج مشاكل

المسلمين المجتمعية. بحيث من الضروري حسبه البحث عن العلاقات السائدة في المجتمع والمحركات الحقيقية الكامنة فيه.

هناك تفكرين او علمين:

1-العلوم العقلية: يرى بان اداة تحصيلها هي الحواس او العقل.

2-العلوم النقلية: يرى ان اداة تحصيلها الوحي.

وفي هذا الصدد يقول:"اعلم ان العلوم التي يخوض فيها البشر يتداولونها في الامصار تحصيلا وتعليمات هي على صنفين: صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره وصنف نقلي ياخذه عن واضعه: الاول وهي العلوم الحكمية والفلسفية وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها وانحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطا فيها من حيث هو انسان ذو فكر...والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول بوجه قياسي...."

يرى ابن خلدون انه وقع خلط بين المنهجين او الاداتين،اذ ان اداة العلوم العقلية استخدمت في العلوم النقلية، وكذلك المنهج الشرعي تدخل في المنهج العلمي، وشتان بين السبيلين والعلمين.

ان موقف ابن خلدون من الفلسفة هو موقف الناقد، لذلك فان نظرياته لا ترقى الى مستوى المذهب الفلسفي، لان ابن خلدون ليس صاحب مذهب فلسفي، ولم يحاول مرة ان يكوّن نسقا او مذهبا خاصا به اللهم الا العلم والثورة على فلسفة الميتافيزيقا او ما وراء الطبيعة.

ان ابن خلدون اشعري العقيدة مثل الغزالي، لكن هذا الاخير موقفه من الفلسفة راجع الى حفظ العقيدة وتصفيتها من شوائب الفلسفة، في حين ان ثورة ابن خلدون

ليست راجعة لعقيدته الاشعرية فحسب ولكن لنزعته العلمية (طلب اليقين عن طريق الملاحظة والتجربة)، والتاسيس لعلم التاريخ وعلم العمران (عقلانية تجريبية علمية لكشف المعلومات واستمداد الحقائق.

لا ينكر ابن خلدون حقيقة ان الفلاسفة يعتبرون العقل هو بمثابة الميزان الصحيح لان احكامه يقينية لا كذب فيها، لكنه يحدد له مجاله وميدانه بدقة فيقول:" لا تطمع ان تزن امور التوحيد والاخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الالهية، وكل ماوراء طوره. فان ذلك طمع في محال، ومثال ذلك مثال رجل راى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع ان يزن به الجبال."

انهى بذلك ابن خلدون بذلك فكرة التوفيق بين العقل والشرع حين جعل للشرع ميدانا وللعقل ميدانا أخر.

ان موقف ابن خلدون هو موقف العالم المجرب الواقعي الذي لا يدرس الا ما شاهده. واما ما غاب عنه او ما لا يمكن ان تجرى عليه التجربة تركه وابعده من بحثه(عالم المثل الافلاطوني او البرهنة بالعقل على وجود العقول المفارقة مثلما سعى اليه فلاسفة الاسلام).

خامسا:ابن خلدون ومنهجه الفكري

انقضت قرون عديدة على رحيل ابن خلدون،إلاأندراسةمنهجه وفكره لا تزال موضوعا للبحث والتحليل من طرف الباحثين على اختلاف مللهم واعتقاداتهم.ولقد تعددت الاتجاهات في تقييم الفكرالخلدوني وفي تحديد منهجه،وذلك لتعدد القراءات الفكرية له، فمن علي عبد الوافي وعلى الوردي وساطع الحصري في المشرق إلى عبد الغني مغربي، ومحمد عابد الجابري في المغرب العربي، مرورا بلاكوست ودوسلان ومونتاي في الغرب. كل واحد من هؤلاء حاول أن يضع ابن خلدون في قالب منهجي

حسب تحليله وتفكيره ورؤيته الخاصة له، وهو ما طرحه العديد منهم فتساءلوا: هل ابن خلدون مؤرخ ؟ هل هو عالم اجتماع ؟ أم عالم اقتصاد ؟ أم عالم سياسة ؟ أم هو فيلسوف ؟. لكن مهما تعددت الآراء واختلفت، فإنها تجتمع على أن محور المنهج الخلدوني يدور حول نقاط محددة أهمها: التاريخ، العصبية، الفلسفة، السياسة والاقتصاد،وسنحاول فيما يلي نشرح بإيجاز كل عنصرمن هذه العناصر:

1-التاريخ-

لقد كان مفهوم التاريخ عند العرب وغيرهم، عبارة عن جمع الأخبار والحوادث التي سيطرت عبر حقب زمنية معينة، كما أنهم كانوا يدونون له دون تدقيق أو تمحيص علمي في العلل والأسباب.

وزعم علماء الغرب أن أول من فكر في علم التاريخ، هو(Giambattista) Vico فيكوجيامباتيستا، لكن سرعان ما علموا أن ابن خلدون قد سبقه في ذلك بما يزيد عن ثلاثة قرون ونصف القرن. فإذا كان فيكو قد تفلسف في تاريخ الإغريق والرومان، فإن ابن خلدون تفلسف قبله في تاريخ العرب والإسلام ودرسه بكل جدية واهتمام، وعرفه في المقدمة على أنه: "فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم،والملوك في دولهم وساساتهم..

هذا العلم الجديد، الذي لا ينفصل عن العلوم الأخرى كالسياسة والاقتصاد والعمران،دعا ابن خلدون إلى التمييز بين التاريخ "الظاهري" الذييخص سرد الأخبارالمدونة للدول والأحداث السالفة في القرون الماضية،ويعرف بالتاريخ المدون، وبين التاريخ "الخفي"،الذييخص النظروالتحقيق والتعليل لتلك الأخبار الماضيةويعرف بالتاريخ الباطن.

إن المنهج التاريخي الذي جاء به ابن خلدون يفترض متطلبات أساسية،(فمن الضروري الالتفات إلى وقائع التغيير والتبديل التي تجعل الأجيال مختلفة، ولا يمكنأن يقتصر البحث التاريخي على التدوين، إذ لا بد من النقد والملاحظة والاستقصاء كي يزيل الكذب أوالمبالغة.

لقد كان الرواة قبل ابن خلدون يقومون بخلط الخرافات بالأحداث بالإضافة إلى تفسير التاريخ استنادا إلى التنجيم والوثينات، لذا فلعله أول من انتقد المؤرخين المسلمين الذين سبقوه مثل:ابن اسحاق،والطبري...واستخلص أن هناك ثلاثة مناهج استعملت لتحليل التاريخ:

الطريقة الأولى : كانت الطريقة الغالبة، التي مثلها الأعلام السابقون، تصف الظواهر وصفا مجردا من أي تحليل، وكان أقطاب هذه الطريقة التاريخية، يحصرون عملهم في حشد الروايات، وتوثيق السند، دون القيام بنقد الأخبار، نذكر منهم على سبيل المثال : المسعودي، الطبري، ابن إسحاق

الطريقة الثانية : كان أصحابها يدعون إلى المبادئ التي تفرزها الظواهر الاجتماعية، وتتفق مع معتقدات الأمة وأخلاقها، نذكرمنهم :ابن قتيبة، الماوردي، الطرطوشي.

الطريقة الثالثة : حاول أصحابها جعل التاريخ متونا تعليمية مختصرة، فذهبوا إلى الاكتفاء بالتدوين لأصحاب الملوك، نذكر منهم على سبيل المثال : ابن رشيق

أمام هذه المناهج التقليدية التي أفقدت الدراسة التاريخية جزءا من علميتها وفائدتها، مع أنها أدت دورا لا يستهان به في ظل ظروفها وعصورها، ألزم ابن خلدون نفسه أن ينصف التاريخ، ولطالما دعا إلى المقارنة بين الأخبار وقياس بعضها على بعض... فعلى المؤرخ التأكد أولا من الخبر بحسب قوانين الكون والاجتماع (أن ابن خلدون أخذ على المؤرخين السابقين أخطاء منهجية)

- :عدم الموضوعية بسبب التشيعات للآراء والمذاهب.
- عدم تحكيم العقل في ضوء قوانين الطبيعة.
- عدم إدراكهم للأهداف الاجتماعية والمعاشية والتاريخية.
- عدم وجود معيار منهجي تنقد به الأخبار والوقائع

2-العصبية-

.لقد بين ابن خلدون في المقدمة مناهج البحث العلمي وقواعد التّحري التاريخي، وانتهج الكشف عن القوانين التي تخضع لها نشأة الظواهر الاجتماعية.وأصبح التاريخ بفضله علما منهجيا راسخا ولم يعد مجرد سرد للأحداث بل تعليلا لها، لأنه ابتدع منهجا جديدا لكتابة التاريخ يقوم على الملاحظة والمقارنة والمعارضة، واكتشف النقد الباطني للتاريخ ورفض كل الروايات غيرالموافقة لأحوال العمران.يقول خويسهورتاقاأيخاست): "Gasset y Ortega José) بفكره الجلي وأفكاره المصقولة، يدخلنا ابن خلدون عبرمدارالتاريخ في أزمنة لا يمكن لعقلنا أن يصلها لولا مؤلَّفه "المقدمة ..."فهو لا يكتفي بإيراد أخبار الماضي، بل يحاول أن يفهمها.

يرى ابن خلدون أن التاريخ لا يسير حسب رغبات الناس، وإنما وفق سلسلة من الأحداث، تتحكم فيها عوامل خارجة عن إرادة البشر، ويمكن أن نضع "العصبية "في مقدمة هذه العوامل،لأنها الطابع المميز للفكر الخلدوني، الذي اتخذ منها المفتاح الوحيد لحل المشاكل التي يطرحها سير الأحداث في التاريخ الذي سرده في المقدمة .

إن فهم العصبية عند ابن خلدون انطلاقا من المعنى الشائع لها في أذهان الناس أو كالمعنى الذي نجد في القاموس: (شدة ارتباط المرء بعصبتة أو جماعته والجد في نصرتها، لا يتفق وشمولية مفهومها الخلدوني،الذي لا يمكن فهمه بمعزل عن الدراسة الشاملة لعلم "العمران"، فهي لا تشمل أبناء الأسرة الواحدة الذين تربطهم صلة

الرحم فحسب، بل تتعدى ذلك، وتضاف إليها روابط أخرى كرابطة الولاء والحلف والمرتزقة وطول المعاشرة... هذه الروابط تشتد لتصبح عصبية إذا كان هناك ما يهدد الجماعة .

وقد عرف محمد عابد الجابري مفهوم العصبية عند ابن خلدون (بأنها رابطة اجتماعية سايكولوجية، شعورية ولا شعورية تربط أفراد جماعة معينة قائمة على القرابة المادية والمعنوية، ربطا يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة، وهذه الرابطة يكون ظهورها واضحا عند البدو للحاجة إليها في الدفاع عن أحيائهم (المفتوحة)، أما الحضر فأسوار المدينة تتكفل بذلك.

.ويمكن تلخيص الأدوار التي تلعبها العصبية في الحياة كالتالي:

* العصبية تحمل الأفراد على التناصر في المدافعة والحماية وهي ضرورية في كل أمر، فكل ما يحمل عليه الكافة، لا بد له من العصبية.

* الملك يحصل بالتغلب، و الرئاسة تكون بالغلبة، والتغلب والغلبة إنما يكونان بالعصبية .

لقد خلص ابن خلدون إلى الدور الفعال الذي تلعبه العصبية في تحريك الصراع بين حالتي الاجتماع البدوي والحضري، واعتبر (أن لها حياة وأطوارا وهيكالقوى الطبيعية الأخرى، التي تتفاعل مع العالم الخارجي، تخضع لقوانين ومراحل. كما اكتشف علما جديدا "علم العمران"، وأعتبر أن "العصبية" هي بمثابة حجر أساس لهذا العلم، فبين أنها المحور والمحرك للمجتمع، وأن كل إنجاز أو فشل إنما يعود إليها.

3-الفلسفة

الفلسفة هي علم التساؤل المستمر حول الخليقة، الكون، الوجود، الحياة، الفناء، أوغيرها من التساؤلات ، ولقد حاول الفلاسفة تفسير هذه الظواهر الكونية عن طريق

العقل الإنساني،الذي بدأ تفتحه مع ظهور "سقراط" الذي أثرت أفكاره في الفكرالأوروبي على يد تلميذه "أفلاطون"

أما فيما يخص العرب، فإن أهم الفلاسفة هو "ابن رشد" الذي تعمق في الفلسفة العربية والإغريقية على حد سواء، وانتقلت عقلانيته إلى الغرب. ثم أتت مرحلة الركود، حتى جاء"ابن خلدون" مؤسس علم الاجتماع وفلسفة التاريخ. ويوضح ذلك"ايف) Lacoste Yves) الذي"يرى أن ابن خلدون هو الشهادة الحية لمواصلة لاكوست "التفكير العقلاني في عصره، وأن التيار الذي أوجده ابن رشد لم يندثر بل تبلور من خلاله ، و يرجع لاكوست هذا إلى دراسة ابن خلدون للعلوم العقلية على يد الآبلي ، أو من مطالعاته الخاصة لمؤلفات المفكرين المسلمين كالفرابي، وابن سينا، وابن رشد .رغم أن ابن خلدون يبدو معاديا للفلسفة،غير أنه يعتبر من أولئك الرواد المفكرين الذين أنزلوا الفلسفة من السماء إلى الأرض من أجل فهم العالم. لقد (ثارعلى الفلسفة كوسيلة للبحث في الميتافيزيقيا،ولم يثر عليها كتفكير عقلاني منطقي(و أحلمحل هذه الفلسفة فلسفة اجتماعية يمكن لعقل الإنسان أن يتعامل معها، ونلمس هذا من خلال"المقدمة"، فقد سرى فيها منهجه الواقعي الذي استخدمه لمحاربة الأوهام.

وهذا ما أكده علي الوردي في بحثه المخصص للنظرية الفلسفية الخلدونية فهو يرى أن ابن خلدون استفاد من التراث الأرسوطاليسي وطوره وأبدع نظاما جديدا للآراء الفلسفية القائمة على الأساس العلمي التطبيقي، مما جعله يرفض المصطلحات الفلسفية .ففلسفته واقعية بدرجة أكبر لأنها نابعة من التحليل (الكامل وتفسير الحياة الواقعية.كما تجدر الإشارة إلى أن ابن خلدون اتفق وابن رشد على أن البحث في هذا العلم يستوجب الإلمام بعلوم الشرع حتى لا يضل العقل ويتوه.

لقد تنافس النقاد والباحثون في وضع تفكير ابن خلدون ومنهجه ضمن مدرسة فلسفية معينة، فمنهم من وصفه بواضع أسس ماركسية في إطار إسلامي،ومنهم من

صنفه ضمن مدرسةأرسطو،أوتصوف الغزالي، لكن تبقى له(شخصيته وقوته ونزعته .وتبقى فلسفته القائمة بذاتها، بعيوبها وكمالاتها، لكن بملامحها البارزة) .

وتبقى الدعوة إلى قراءة جديدة لفلسفة ابن خلدون قائمة بعيدا عن تأثير العواطف والتعصب له أو ضده.

4-الاقتصاد

لقد أصبح علم الاجتماع يولي اهتماما كبيرا للعامل الاقتصادي(ويعتبر المؤرخون أن الاقتصاد بدأ كعلم في أواخر القرن 18 ،وبداية القرن 19 ،لكن في الحقيقة نجد ابن خلدون يتفطن لهذه الناحية الاقتصادية في القرن14 ،غير أن الدارسين في هذا العصر)يبدءون عروضهم في الفكر الاقتصادي من تصورات أفلاطون وأرسطو، ويقفزون بحجة أن القرون الوسطى، هي عصور اتسمت بالركود والجهل إلى القرن 18)كل الميادين،الفكرية، الاجتماعية والاقتصادية.إلا أن هذا التعميم والحكم على القرون الوسطى بأنها عصر"لا علمي"، يبقى مجحفا في حق بعض العلماء والمفكرين الذين أثمرت جهودهم في هذه الفترة بالذات، ومن أمثالهم نذكر ابن خلدون، الذي يرى أن هناك تداخلا بين الاجتماع والاقتصاد،أو بالعبارات الخلدونية، هناك علاقة بين العمران ووسائل المعيشة

.يعتبرعامل الاقتصاد من المعايير الأساسية التي يستند إليها ابن خلدون في تعليله للحوادث التاريخية والاجتماعية والعمرانية. وقد بين الصلة بين الاقتصاد ووجوه الحياة الاجتماعية الأخرى،(وهو يبدأ من مفهوم "العمل الإنساني" باعتباره المفهوم المحوري في النشاط الاقتصادي. (لقد تفطن ابن خلدون إلى أهمية الجانب الاقتصادي، فخصص له قسما قائما بذاته في"المقدمة"، كشف فيه عن المسببات وقارن النتائج وانتهى إلى وضع قوانين تحكم الظواهر في الحالات المشابهة، وأظهر

أن الاقتصاد هو جانب من جوانب الظاهرة الاجتماعية، له قوانين خاصة تستخرج من"الكسب"و"المعاش" و"الصنائع" وغير ذلك.

إن هذا التحليل يبرهن التفكير الواقعي والعلمي،لأنه مقيد بالكسب والمعاش.

بهذه الأفكار وبهذا المنهج الاقتصادي،اعتبر ابن خلدون من"رواد علم الاقتصاد، ويعتقد الكاتب التشيكي "جوزيف شومبيتر" أن الباحثين المتأخرين ما بين القرن الرابع عشر و السابع عشر هم المؤسسون الحقيقيون لعلم الاجتماع، ووصف ابن خلدون " بالرائد السباق في مجال الاقتصاد المعاصر، حيث أن العديد من نظرياته لم تكن معروفة في أوروبا حتى وقت قريب نسبيا."

5-السياسة- مثلما حضي ابن خلدون بمكانة مرموقة في مجالات عديدة، فإنه نال مكانة لا تقل أهمية في مجال السياسة، وهذا راجع إلى تفكيره السياسي العلمي. فقد تقلد مناصب جليلة، و لعب أدوارا هامة في تاريخ السياسة في المغرب العربي وهذا ما يفسر نشأته السياسية. ولقد ساهم في هذا المجال بشكل كبير وأرجع (مفهوم السياسة إلى العلاقات الموجودة بين الحاكم والمحكوم وبين أفراد الجماعة وبين غيرها(

.إن اهتمام ابن خلدون بدراسة الناحية السياسية يرجع إلى أنه لطالما اعتقد بأن الظاهرة الاجتماعية هي مفهوم معقد ومتشابك، ومتعدد الأطراف، وما السياسة إلا واحدة منها. وعلم الاجتماع السياسي الذي جاء به، يدرس العلاقة بين القوة والبناء الاجتماعي، كما يبين (الصلة بين المجتمع وبين الدولة والتأثير المتبادل بينهما)

هذه هي أهم النقاط التي شكلت صميم المنهج الخلدوني وفكره، فهو يمتلك ميزات عديدة مما أعطاه حجما ووزنا ودورا هاما في تراث الفكر الإنساني، وهو أيضا ما جعل منهجه موضوعا دائما للدراسة في مشارق الارض ومغاربها، لكن الخطأ الشائع الذي يقع فيه الكثيرون هو التعامل مع أفكاره ومنهجه باعتبارها أفكارا راهنة،

فيقيمونها ايجابيا دون الأخذ بعين الاعتبار أنها تنتمي إلى تاريخ سابق، أو ينتقدونها بنوع من النقد اللاذع كما لو أنه مفكر معاصر.

سادسا:علم العمران البشري و مفهومه

تشهد مقدمة ابن خلدون الشهيرة ريادته لهذا العلم، صرَّح في عبارات واضحة أنه اكتشف علمًا مستقلاًّ، لم يتكلَّم فيه السابقون؛ إذ يقول: "وكأن هذا علم مستقلٌّ بنفسه، فإنه ذو موضوع، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل؛ وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته، واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم، وضعيًّا كان أو عقليًّا".

ويقول أيضًا: "واعلم أن الكلام في هذا الغرض مُسْتَحْدَث الصنعة، غريب النزعة، أَعْثَر عليه البحث، وأدَّى إليه الغوص... وكأنه علم مستنبط النشأة، ولعمري! لم أقف على الكلام في منحاه لأحدٍ من الخليقة، ما أدري: ألغفلتهم عن ذلك، وليس الظنُّ بهم؟ أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض، واستوفوه، ولم يصل إلينا؟".

كما أنه لم يكتفِ بذلك، بل دعا القادرين إلى استكمال ما نقص منه، فقال: "ولعلَّ مَنْ يأت بعدنا –ممن يُؤَيّده الله بفكر صحيح، وعِلْمٍ مُبِينٍ– يغوص في مسائله على أكثر مما كتبنا، فليس على مستنبط الفنِّ إحصاء مسائله، وإنما عليه تعيين موضع العلم، وتنويع فصوله، وما يُتَكَلَّم فيه، والمتأخِّرُون يُلْحِقُون المسائل من بعده شيئًا فشيئًا إلى أن يكمل".

يتفق جميع الباحثين الذين أنصفوا ابن خلدون بأنه هو أول من ناقش ما اسماهب:

" الأحوال الاجتماعية الإنسانية والمظاهر الاجتماعية وواقعات العمران البشري"

لقد كان في بحثه هذا سابقًا لعصره، وتأثر به عدد كبير من علماء الاجتماع الذين جاءوا من بعده مثل: الإيطالي "فيكو"، والألماني " ليسنج"، والفرنسي"فوليتر"، كما تأثر به العلامة الفرنسي الشهير "جان جاك روسو" والعلامة الإنجليزي "مالتس" والعلامة الفرنسي "أوجيستكانط".

يقول عالم الاجتماع النمساوي الشهير جمبلوفتش: "لقد أردنا أن ندلِّلَ على أنه قبل أوجست كونت[7]، بل قبل فيكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعي أوربي، جاء مسلم تقيٌّ، فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل مُتَّزِنٍ، وأتى في هذا الموضوع بآراء عميقة، وإن ما كتبه هو ما نسمِّيه اليوم "علم الاجتماع". الذي يُعَرِّفُه معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنه: "دراسة وصفية تفسيرية مقارنة للمجتمعات الإنسانية، كما تبدو في الزمان والمكان؛ للتوصُّل إلى قوانين التطوُّر، التي تخضع لها هذه المجتمعات الإنسانية في تَقَدُّمِهَا وتَغَيُّرِهَا".

اهتدى ابن خلدون إلى هذ العلم من خلال تأكيده أن الاجتماع الإنساني ضرورة ، أما تفسير ذلك فأرجعه إلى حاجة الإنسان للاعتماد على غيره لإشباع حاجاته ، فالحاجة البشرية و الجهد الذي يبذل لإشباعها هما أساس وجود المجتمع البشري ، و لذلك فمن الضروري إنشاء علم العمران لدراسة الاجتماع الإنساني و ظواهره .

يتحدد موضوع علم العمرانعند ابن خلدونمنخلال التمثيل لأشكالهبالظواهر الاجتماعية، التي تظهر نتيجة لتجمُّع الناس معًا، وتفاعل بعضهم مع بعض، ودخولهم في عَلاقات متبادلة، وتكوين ما يُطْلَق عليه الثقافة المشتركة؛ حيث يتَّفِقُ الناسُ على أساليب مُعَيَّنَة في التعبير عن أفكارهم، كما أنهم يتَّفقون على قيم محدَّدة، وأساليب معينة في الاقتصاد، والحكم، والأخلاق، وغيرها.

وتبدأ الظواهر الاجتماعية بالتفاعل بين شخصين أو أكثر، والدخول في علاقات اجتماعية، وحينما تدوم هذه العلاقات وتستمرُّ، تشكِّل جماعات اجتماعية، وتُعَدُّ الجماعات الاجتماعية من المواضيع الأساسية التي يدرسها علم العمران.

وهناك تمثيل آخرلعلم العمرانمن منظور ابن خلدون، يتمثَّل في العمليات الاجتماعية كالصراع، والتعاون، والتنافس، والتوافق، والترتيب الطبقي، والحراك الاجتماعي. كما أن التغيُّر في الثقافة وفي البناء الاجتماعي، أحد ميادين الدراسة في علم العمران.

كما أن هناك النُّظُم الاجتماعية، وهي الأساليب المقنِّنة والمقرِّرة للسلوك الاجتماعي،وكذلك الشخصية، وهي العامل الذي يُشَكِّل الثقافة، ويتشكل من خلالها.

العمران بالنسبة لابن خلدون : " هو الذي يتحدد بالأفراد الذين يؤلفونه ، بل بالبناءات و الجماعات التي تكونه "

يرى ابن خلدون في العمران البشري أن : الاجتماع الإنساني ضروري ، و يعبر الحكماء عن هذا بقلهم : " الإنسان مدني بالطبع أي لأنه من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم و هو معنى العمران" ، و بالتالي فإن العمران البشري عند ابن خلدون هو اجتماع الإنسان القائم على صلة البشر بالأرض المعمورة ثم على صلة بعض البشر ببعض في المكان الواحد و في الأمكنة المتفرقة .

ومن الأسس التي قام عليها "العمران" عند ابن خلدون، "ضرورة الاجتماع الإنساني، وهذا راجع إلى دافعين:

الدافع الأول: هو حاجة الإنسان لإشباع حاجته إلى الغذاء عن طريق التعاون وتقسيم العمل بين أفراد المجتمع. فقال في المقدمة: "فلابد من اجتماع القدر الكثير من أبناء .جنسه ليحصل القوت له ولهم

الدافع الثاني: هو حاجة البشر إلى التعاون من أجل الدفاع عن النفس ودفع أذى الحيوانات المفترسة، يقول ابن خلدون: "وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بأبناء جنسه... فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر، والصنائع تحصل الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع.

من هذا يتبين أن الإنسان قد جبل على طبيعة خاصة تجعله ينزع إلى الاجتماع الإنساني ليحافظ على حياته وليوفر غذاءه وليدافع عن كيانه، ولا يستطيع أن يفعل ذلك منفردا، فلابد له أن يعتمد على أخيه، وإذا كان هذا صالحا بالنسبة للإنسان، فهو كذلك صالح بالنسبة للمجتمع، فالوظائف تتكامل في المجتمعات، التي تتعاون فيم تعجز عليه لتوفيرأسباب البقاء وبهذه الصورة، فالحياة الاجتماعية عند ابن خلدون تعتبرعملا جماعيا حقيقيا للبشر، مشروطا بالاحتياجات المادية، فمفهوم المجتمع يتحدد هنا كجماعة قائمة على أساس العمل التعاوني المشترك، أي كمجموعة متضامنة في .العمل.

– 2مسائل العمران

إن"العلم الجديد" الذي جاء به ابن خلدون لا يعتبر جزءا من العلوم السابقة كالتاريخ والفلسفة والسياسة وغيرها من العلوم الإنسانية الأخرى، إلا أنه يرتبط بها ارتباطاوثيقيا، لهذا نجد ابن خلدون يحدد مسائل العمران في "ثلاث اتجاهات متميزة

– اتجاه فلسفي: وهو" نظر وتحقيق، و تعليل للكائنات ومباديهادقيق،وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق."

- اتجاه تاريخي: وهو بحث وتوضيح في "أسباب التصرف والحول في القرون الخالية والملل ."

-اتجاه اجتماعي:وهوشرح أحوال العمران والتمدن، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من أسباب أولية، الدول والعمران و شرح وتحليل لأحوال المجتمع البشري

- 3مستويات العمران:

لم يلجأ ابن خلدون إلى تقسيم العمران إلى مستويات بمسمياتها صراحة كالتي سنقوم بعرضها ، لكن هذا التقسيم جاء نتيجة للمفاهيم الأساسية التي ركز عليها ابن خلدون في مقدمته.

ويمكن أن نميز من خلال ذلك ثلاث مستويات رئيسية. :

- المستوى الاقتصادي: (أو ما يعرف حاليا بعلم الإجتماع الاقتصادي

(إن المحور الأساسي الذي تحدث عنه ابن خلدون في المجال الاقتصادي هو "المعاش" الذي (يجمع كل أشكال النشاطات المبذولة من الناس لتحصيل وسائل العيش .

وقد بين ابن خلدون الطرق الملموسة لكسب الرزق، وميز، بين السبل الطبيعية والسبل غير الطبيعية، التي نلخصها فيما يلي

السبل الطبيعية: وتتمثل في الصيد البري والبحري، تربية الحيوانات الداجنة، الزراعة، الصناعة والامتهانات

.السبل غيرالطبيعية: وتتمثل في أخذ الرزق من موارد الغير وانتزاعه منه، من أمثلة ذلك: الجباية، الغرامة .أما التجارة، فإنها تبقى محل النزاع بين السبل الطبيعية والسبل غير الطبيعية.

-المستوى السياسي:رغم ظهور السياسة تحت أشكال مختلفة،إلا أنها تمثل مستوى دائم للعمران يقول ابن خلدون في المقدمة:"أما المدن والأمصار فعدوانهم 1 وإحدى"عناصره البنيوية ."بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة... وأما أحياء البدو فيزع بعضهم عن بعض 2مشائخهم وكبراؤهم بما وفروا في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجُّلة

-المستوى الثقافي:

يميز ابن خلدون الإنسان عن سائر المخلوقات فيقول: "... فمنها العلوم والصنائع التي هي نتيجة الفكر الذي نميز به عن الحيوانات، وشرف بوصفه عن المخلوقات

."ويقسم ابن خلدون النتاج الفكري إلى • :العلوم العقلانية مثل: الفيزياء والميتافيزيقيا • .الصنائع مثل: الرقص، الشعر، الغناء ...تجدر الإشارة هنا إلى أن المستويات الثلاث مكملة لبعضها البعض، ولا وجود لمستوى بمعزل عن غيره من المستويات، وهي تشكل مجتمعة مع بعضها البعض "العمران."

-أشكال العمران:

يقول محمد عابد الجابري في مقالة كتبها بعنوان"استقراء الواقع العربي كما عرفه ابن خلدون": "إن الواقع العربي هو كالعملة لها وجهان: وجه يطلق عليه ابن خلدون اسم العمران البدوي والآخر اسم العمران الحضري(لقد أرجع ابن خلدون،.خلال تحليله للعناصر المكونة للعمران، أشكال الحياة الاجتماعية إلى

شكلين جوهريين هما: "البدو والحضر"، ولكنه عندما حلّل وشرح وضعهم، بين أنهم يقعون في درجات متفاوتة حسب "مقدار ظهور خصائص البداوة أو الحضارة فيهم شدة أو ضعفا."

– 1–العمران البدوي:يقول ابن خلدون: "ومن هذا العمران ما يكون بدويا، وهو الذي في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجعة في القفاروأطراف الرمال يصنَف البدوإذا في (ثلاث ." درجات (متفاوتة حسب درجة توغلهم في الصحراء وابتعادهم عن متطلبات الحضارة :

الدرجة القصوى:(المتطرفة في بداوتها)،هم البدو الذين يعتمدون على"الإبل"في حياتهم اليومية ،يأتي بعدهم مباشرة أصحاب"الشاه والبقر" ،و يأتي في الدرجة الأخيرة البدو الذين يمارسون الزراعة.

وقد ذكر ابن خلدون صفات للبداوة تجمع الحسن والقبح، فمن الجهة الأولى نجد فيهم صفات الشجاعة ومتانة الخلق وسلامة الفطرة، ومن الجهة الأخرى نجدهم أكثر توحشا وميلا للنهب والتخريب وأشد بعدا عن العلم والفن والصناعة.وسنحاول فيما يأتي تطبيق المستويات الثلاثة للعمران،التي سبق شرحها،على "العمران البدوي:"

المستوى الاقتصادي :

تتميز البدواة بممارسة الزراعة وتربية الحيوانات من أجل تلبية متطلباتها وحاجاتها مع الإشارة هنا إلى أن الميزة الأساسية لإقتصاد البادية هي تلبية الحاجات البسيطة فقط، بمعنى تلبية مستلزماتها من الغذاء

.المستوى السياسي

إن القبيلة هي العنصر الأساسي في البادية، وتمارس السياسة هنا عن طريق رئيس القبيلةفي البادية ، فالعلاقات السياسية تعتمد على العلاقات "النسبوية " المستوى الثقافي:

في البادية، تغيب العلوم، عدا بعض المبادئ الأولية في الطب التجريبي، ويكون الدين هنا مرتبطا بالشعر والغناء.

– 2–العمران الحضري:

يقول ابن خلدون: "... ومنه ما يكون حضريا، وهو الذي بالأمصار و القرى والمدن والمدر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها ."

إن الحضر في نظر ابن خلدون كالبدو، لهم صفات مليحة وأخرى قبيحة، فالأولى تتمثل في معالم الصناعة والفن والعلم

والثانية أخلاق الجبن والمكر. وكما وضع البدو في درجات متفاوتة، فإنه قام بالشيء نفسه مع الحضر، وبين الاختلاف بين الحضر أنفسهم عندما تحدث عن الصنائع .يقول الدكتور علي الوردي، شارحا ذلك(فنجد في بعض المدن التي هي قريبة العهد بالبداوة صنائع بسيطة تتصل بضرورات الحياة كالنجارة والخياطة والحياكة والجزارة، ثم تظهر صناعات أخرى تبعا لنمو الترف كالدباغة

وكما فعلنا مع البدو، سنحاول تطبيق المستويات الثلاثة على الحضر

:المستوى الاقتصادي:في العمران الحضري، يتم تحويل خيرات الطبيعة عن طريق تقسيم العمل هو ما يسمح بزيادة الإنتاجية.كما أن من ميزاته أيضا أنه اقتصاد تبادل مبني على استخدام "النقود".

والإختلاف عن البدو ويبدو جليا هنا، حيث أنه وكما سبق وأن ذكرنا، فالهدف الأول في اقتصاد البدو هو تلبية الحاجات الضرورية والضرورية فقط

.المستوى السياسي:

إن العمران الحضري أساس الحياة السياسية عند الحضر لا ترتكز على القبيلة ، وتلعب السلطة السياسية كما في حالة البدو، بل ترتكز أساسا على "التوسع الحكومي "هنا دورا مهيمنا .

المستوى الثقافي :إن العمران الحضري مكان إنطلاق العلوم وتطور التقنيات والصنائع، لكن في الوقت نفسه مكان يفقد فيه "الدين قوته.

-العلاقة بين البدو والحضر:

يمثل البدو والحضر محور النظرية الخلدونية،حيث يدور الصراع بين الحضارة والبداوة،على عكس ما نجده في علم الاجتماع الحديث، حيث يدور الصراع بين المجتمع الحركي والمجتمع السكوني بمعنى (دراسة المشاكل الناجمة عن انتقال لكن علي الوردي، يرى أن نظرية 1 الناس من المجتمع السكوني إلى المجتمع الحركي .(ابن خلدون ليست بعيدة تماما عن المفهوم الحديث، فقد أمعن النظر في حال الناس في زمانه، لأنه اعتمد في دراساته وتحاليله على الواقع، فخلص إلى فئتين هما البدو والحضر وأن صفاتهم متضادة تمام واستنتج من ذلك أنهما في صراع وتفاعل مستمرين هو الذي يولد الدورة الاجتماعية، ويمكن شرحها بالشكل المبسط التالي" :يعيش الحضر في النعيم والترف، وأهل البادية على مرأى من هذا الواقع، وقد يأتي يوم لا يتحمل البدو ذلك، فيهاجمون الحضر،ويسيطرون عليهم، ويؤسسون بذلك دولة جديدة، وبتنعمهم بترف الحضارة يفقدون صفاتهم القوية

وعصبيتهم شيئا فشيئا، فيضعفون، وبذلك تضعف معهم دولتهم، فيغتنم البدو الذين لا يزالون في البادية الفرصة ويهاجمون الدولة ويؤسسون محلها دولة أخرى"، وهكذا تتوالى الدورات الاجتماعية

ملخص نظرية ابن خلدون في العمران البشري

ويمكن تلخيص نظرية ابن خلدون في العمران البشري في العناصر الآتية:

*التاريخ خبر: التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو العمران البشري، ومن ثم فإن تنقيته من الزيف، وتصويب أحداثه يشكلان المنطلق الأول لتصور العمران البشري، ولذلك فقد وضع ابن خلدون منهجًا لكتابة التاريخ ولتصحيح أحداث التاريخ وأخباره.

*الإنسان مدني بالطبع: ومن ثم كان لا بد من أن يصنع مجتمعًا يجري في نطاقه التعاون على إنتاج القوت الذي يهيئ له العيش والأدوات التي تهيئ له أسباب الدفاع عن حياته.

*أصل العمران: العمران البدوي أصل العمران الحضري، ولكل من المجتمعين ألوان من العادات والسلوك وأنماط في الحياة تفرضها طبيعة كل منهما، وهي في المجتمع الحضري أكثر قابلية للتطور الذي يؤدي إلى قمة العمران، ثم ما يتبع ذلك من تقلص وانحسار في أحقاب زمنية متلاحقة متكررة تكاد تكون قانونًا ثابتًا.

*العمران والصنائع: لا يتم العمران ويرقى إلا بوجود الصنائع متمثلة في الفلاحة

والصناعة والتجارة، فعليها جميعًا يتوقف رخاء المجتمع ورفاهيته، وكلما ارتقت الصناعة وراجت التجارة وعم الرخاء وانتعش الاقتصاد، كان لذلك أثره في رفاهية المجتمع البشري ورقيه وبلوغه مراحل الترف والنعيم.

*العلم والتعليم: العلم والتعليم أمران أساسيان في العمران مرتبطان به إيجابًا وسلبًا، فحيث يزدهر العمران يتطور العلم، فإذا لم يتوفر العلم في المجتمع صارت الرحلة في طلبه أمرًا ضروريًا، ومن ثم فحيث يزدهر العلم يرقى العمران، والعكس صحيح.

*مواقع المدن: حسن اختيار مواقع المدن والأمصار ضروري لاستدامة العمران؛ وذلك من حيث المنعة، وسهولة الدفاع عنها، ومن حيث توفر الخيرات وكثرة الأرزاق كالقرب من الماء العذب، وضمان المراعي للسائمة ومراعاة وجود المزارع حولها لتزويدها بأنواع الطعام.

سابعا:نظرية العصبية في الفكر الخلدوني

يرى ابن خلدون أن العصبية هي المحرك للتاريخ الاجتماعي للمجتمعات ، وهي وراء عملية التغير الاجتماعي بشكل عام ، منطلقا في تفكيره من مبدأ العلاقات الجدلية بين العمران البدوي والعمران الحضري ، مفسرا نشأة الدول وانحلالها بناء على آلية العصبية ، فهي التي تؤدي إلى الملك ، وهي نفسها التي تؤدي إلى زواله ، ونعتقد أن نظريته هذه لا تقل في الأهمية عن اكتشافه لعلم العمران البشري والاجتماع الإنساني (علم الاجتماع.(
وهو يرى أن العصبية ظاهرة اجتماعية ملتحمة بالعمران البدوي على الخصوص ، وتظهر بشكل أقل حدة في العمران الحضري ، وهي تحمل معنى وظيفيا ، نظرا لما

يترتب عليها من آثار في قيام الدول وانهيارها في العمران الحضري ، وتنظيم حياة الأفراد في العمران البدوي ، وهي الوعاء الذي يحفظ حياة المجتمع الإنساني وأساس بقائه وصيرورته ، أي إن لها وظائف اجتماعية وسياسية مهمة في المجتمع بدويا كان أم حضريا.

ولا شك أن نظرة ابن خلدون للعصبية ووظيفتها الاجتماعية والسياسية ، كانت مشتقة من بيئته الخاصة ، وهي بيئة كانت الصلة فيها قوية بين الحياة البدوية بمجتمعاتها القبلي من جهة ، والحياة الحضرية بمجتمعها السياسي من جهة أخرى ، وكان التأثير قويا ومستمرا بينهما ، إلا أن طابع الحياة القبلية غالبا كان هو المسيطر ، حيث كانت الدول تقوم وتنهار من جراء تآلب القبائل أو تشتتها.

1.تعريف العصبية

والعصبية أو العصبة التي يقصدها ابن خلدون لا تعني مطلق الجماعة وإنما الأفراد الذين تجمع بينهم رابطة الدم أو رابطة الحلف أو الولاء بالإضافة إلى شرط الملازمة بينهم من أجل أن يتم التفاعل الاجتماعي ، وتبقى مستمرة ومتفرعة بوجود هؤلاء الأفراد واستمرار تناسلهم ، فينشأ بين أفرادها شعور يؤدي إلى المحاماة والمدافعة وهم يتعصبون لبعضهم حينما يكون هناك داع للتعصب ، ويشعر الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من أهل عصبته ، وفي هذه الحالة يفقد شخصيته الفردية بحيث تذوب في شخصية الجماعة ، وهو شعور جماعي مشترك لدى أفراد العصبة فهو ذو صبغة جمعية أساسية بين الفرد والمجموعة ، وليس بين فرد وآخر فقط ، وفي حال تعرض العصبة إلى عدوان فيظهر في هذه الحالة "الوعي" بالعصبية ، وهذا " الوعي العصبي " هو الذي يشد أفراد العصبة إلى بعضهم وهو ما يسميه ابن خلدون " بالعصبية " التي بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه.

.2المفهوم الأنثربولوجي للعصبية:

يرى ابن خلدون أن للعصبية مفهوما أنثربولوجيا متميزا فقد اعتبرها ظاهرة اجتماعية بالإضافة إلى كونها رابطة اجتماعية طبيعية في المجتمع الإنساني ملازمة لوجود العصبية ، ملازمة العوارض الذاتية ، أي إن وجود العصبة يستدعي وجود العصبية ، فالعصبية موجودة فيها " بالقوة " وتصبح موجودة " بالفعل " حين وقوع عدوان على أهل العصبة ، ووظيفة العصبية يلخصها ابن خلدون من الناحية العامة بجملة ذات دلالة مهمة قائلا : " إن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه. "

.3مميزات العصبية :

ومن أهم ميزات هذه الرابطة " العصبية " أنها ليست علاقة محصورة بين فرد وآخر داخل العصبة ، وإنما هي رابطة بين الفرد والمجموعة في وحدة متكاملة ، فالفرد حينما يتعصب لعصبته فإنما يتعصب لنفسه ، وكذلك العصبة حينما تناصر أحد أفرادها فإنما هي في الحقيقة تناصر نفسها ، أي أن هناك تضامنا متبادلا بين الفرد وعصبته في الداخل والخارج ، فيكون مجال التواصل بين الفرد وغيره محدودا بحدود عصبته. فهي تمارس ضغطا على الأفراد من أجل الخضوع لها ، فهي بهذا تضمن التماسك بين أعضائها ، وفي هذا سر قوتها ، بالإضافة إلى أن التضامن المتبادل بين الفرد ومجموعته لا يسمح بقيام فوارق أو درجات للاستغلال داخل العصبة بين الأفراد ، وإنما قد يكون الامتياز الوحيد الذي يحظى به الفرد داخل العصبة ، هو ذلك الاعتبار في كونه قد قدم خدمات لصالح العصبة مجتمعة ، بمعنى أن الامتياز يرتبط في درجته بقدر تقديم خدمة لأهل عصبيته لا بما يحصل عليه الفرد منها ، ومهما يكن الأمر ، فإن الأساس الذي يبنى عليه الاعتبار هو مدى خدمة الفرد للمجموعة لا

ما يحققه من منافع لنفسه.

وظيفة العصبية:

ويرى ابن خلدون أن وظيفة العصبية تنشأ في مبدأين أساسيين:

المبدأ الأول : ضرورة التجمع الإنساني ، أي ضرورة أن يعيش الأفراد داخل مجتمع انطلاقا من شعور كل فرد بضرورة تعاونه مع الآخرين من بني جنسه من أجل قضاء الحاجات الضرورية لبقائه ، لأنه عاجز واقعيا عن القيام بقضاء كل حاجاته منفردا وقد قال بهذه الضرورة مفكرون عديدون قبل ابن خلدون منهم الغزالي والفارابي ، وأرسطو على سبيل المثال ، وقد أقر ابن خلدون بذلك معتبرا العصبية ظاهرة طبيعية من ظواهر الاجتماع الإنساني.

المبدأ الثاني : ضرورة وجود الوازع لأن الشر أو العدوان أمر طبيعي متأصل في النفس البشرية ، باعتبار الإنسان مجبولا على الخير والشر معا ، على التعاون والعدوان ، فقيام الحياة الاجتماعية يتطلب ضرورة وجود وازع ، والوازع عند ابن خلدون هو الحاكم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ، بمعنى وجود سلطة تحفظ للمجتمع تماسكه وتعمل على تقوية التعاون بين أفراده وكبح عدوان بعضهم على بعض ، ويقول ابن خلدون " واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم ، وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم."

الوظائف الاجتماعية للعصبية :

يرى ابن خلدون أن الوظائف الاجتماعية للعصبية هي:

-1تؤدي إلى تنظيم علاقات القبيلة في الداخل والخارج ، أي بين أفراد القبيلة الواحدة من جهة ، وبين أفراد القبيلة والقبائل الأخرى من جهة ثانية ، أي أنها تكون الإطار التنظيمي لأهل العصبيات ، فتتأطر بموجبها العلاقات الاجتماعية كافة.

-2تؤدي العصبية إلى التعاون بين أهل العصبية الواحدة من جهة ، وأهل العصبيات

المتحالفة من جهة أخرى ، ويبدو ذلك في دفع العدوان ، أو القيام به من أجل تحقيق مصلحة مشتركة ، أي أنها الوسيلة الوحيدة لهذا التعاون ، لعدم توافر أية وسيلة أخرى في ظل الأوضاع السائدة في المجتمع القبلي.

-3تؤدي إلى حفظ كيان القبيلة ، أي كيان المجتمع القبلي بالمحافظة على بنائه الاجتماعي من خلال التضامن ، والتكتل ، ومجابهة الصراع الذي هو صراع وجود ، نظرا لقساوة الظروف الطبيعية ، وضآلة الإنتاج ، فيصبح الصراع أمرا طبيعيا من أجل حفظ كيان القبيلة من الانقراض والذوبان ، أي أنها تحفظ استقلالية المجتمع القبلي في نهاية الأمر.

-4تحافظ العصبية على شجرة النسب من خلال التلاحم العصبي الذي يكون أقوى في النسب القريب منه في النسب البعيد ، رغم تأكيد ابن خلدون على أن النسب أمر "وهمي" لكنه مع ذلك يعتبر حقيقة واقعة في المجتمع القبلي.

-5تقوم العصبية باعتبارها أساس التطور الاجتماعي بتدعيم المساواة بين أفرادها في الحقوق والواجبات ، وإلغاء التمايز الطبقي من حيث المبدأ العام ، وإن وجد تمايز في المكان الاجتماعية ، إنما يعود ذلك لما يقدمه الفرد نحو أهله أكثر من غيره ، فهي تدعم " الغيرية " على حساب " الذاتية " أي ذوبان الأنا في سبيل الأناء العصبي . وبموجبها يتأطر سلم القيم من شجاعة ، وكرم ، وخلال حميدة ، أي أنها تسير أخلاق المجتمع القبلي في نهاية الأمر ، وتكون ناجحة إذا عملت على إحلال العلاقات التعاونية والتضامنية محل العلاقات التنافسية بين أهل العصبية.

الوظيفة السياسية للعصبية : يرى ابن خلدون أن للعصبية وظيفة سياسية ، وهي الوصول إلى الملك والاحتفاظ به ، أي بناء الدولة ، وهي وظيفة تلتقي اليوم مع وظيفة الأحزاب السياسية التي جوهر عملها وهدفها الوصول إلى السلطة ، ويقرر ابن خلدون " أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك " مبينا سبب ذلك " أن الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع يحكم بعضهم عن بعض ، فلابد

أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية ، فالتغلب الملكي غاية العصبية.
ويرى أن وظيفة العصبية تتمثل في صد العدوان ، لأن الطبيعة الإنسانية تنزع إلى العدوان بالفطرة لذا كان لابد من وازع أي حاكم ، ولا شك أن مسألة الوازع قد أولاها ابن خلدون اهتماما كبيرا ، انطلاقا من نظريته المتكاملة عن العصبية ، إذ ينظر إلى الوازع نظرة ثنائية انسجاما مع تقسيمه للعمران البشري إلى نوعين : العمران البدوي ، والعمران الحضري ، ولكل منهما وازع خاص لصد العدوان ،
فهو يرى أن أحياء البدو معرضة إلى نوعين من العدوان:

1-العدوان الداخلي: ومصدره من داخل القبيلة ، أي اعتداء أفرادها على بعضهم ، فالوازع لهذا العدوان يكون من قبل أكابرهم ومشايخهم ، لما لهم من الوقار والاحترام عند قومهم ، وهذا نابع من مكانتهم المميزة لدى قومهم.
2- العدوان الخارجي ومصدره من خارج القبيلة كالغزو أو ما في معناه ، فالوازع لهذا العدوان يكون من قبل شجعان القبيلة ، وأما حللهم فيذود عنها حامية الحي من أنجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة.
أي أن السلطة . الحكم . لا يكون إلا بالعصبية ، غير أن ابن خلدون يوضح بأن السلطة لا تكون إلا للعصبية القوية من أجل التغلب على العصائب الأخرى لكي تلتحم معها فتشكل في النهاية عصبية واحدة كبرى . عصبية مركبة . وإذا لم تتوافر لها مثل هذه القوة القاهرة ، فإنها لن تصل إلى السلطة " فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها ، وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى ، وإلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع.
ويرى ابن خلدون أن العصبية الحاكمة لا تبقى قوية ، وإنما تنتهي ، وتقوم على أنقاضها عصبية أخرى قوية ، وهذه بدورها تضعف وتقوم مقامها أخرى وهكذا دواليك ، أي أن العصبية لا تبقى على قوتها الأولى ، وإنما يعتريها الوهن الأمر الذي يؤدي إلى ضعف الدولة ، وبزوالها تزول الدولة.

ويعلل ابن خلدون ضعف الدولة ثم زوالها بضعف عصبيتها . أي العصبية الحاكمة . وذلك باستبعاد أهل العصبية والانفراد بالمجد والانغماس في الترف والنعيم مما يؤذن بزوالها ، ويقرر ذلك " فلا يزال الملك ملجأ في الأمة إلى أن تنكسر سورة العصبية منها أو يفنى سائر عشائرها. "

ترجع أسباب ضعف الدولة التي هي أسباب ضعف العصبية إلى ما يلي

1. سعة الملك مع عدم توافر العدد الكافي من أهل العصبية لتسيير دفة الحكم ، الأمر الذي يضعف سيطرة المركز على الأطراف ، فيستعين من أجل ذلك بقوم من خارج أهل عصبته.

.2التناصر والاختلاف على الحكم بين أهل العصبة ، فيأخذ الحاكم بالانفراد بالمجد والتنكر لقومه ، مما يؤدي إلى ضعف عصبيتهم ، لأن العصبية في هذه الحالة لم تحقق شرط قوتها ، وهو المصلحة العامة المشتركة ، والتلازم بين أهل العصبة الواحدة ، مما يؤدي إلى ظهور عصبات مطالبة بالحكم ، مما يحول دون استقرار الدولة.

.3انغماس الحاكم في الملذات والترف والتبذير ، والركون إلى الدعة من العوامل التي تؤذن بفساد العصبية ، ويقعدها عن تأدية وظيفتها ، حيث يعتقد ابن خلدون أن ذلك ينسيهم حالة " التوحش " الذي يعتبره من المقومات الأساسية من أجل انبثاق العصبية القوية.

.4وجود عصبية مناهضة أقوى من العصبية الحاكمة تقوم بالمطالبة بالملك ، وإلا فإن الضعف قد يطول ، وحين تدخل الدولة في مرحلة الهرم ، تعمل الظروف المصاحبة لهرم الدولة على إيقاظ الوعي العصبي لدى أهل العصبات المضطهدة انطلاقا من وعيهم للضغط الاقتصادي الذي يهدد كيانهم ، فتتوحد عصبياتهم في عصبية واحدة ثائرة.

ثامنا:نظرية نشأةالدولة وانهيارها عند ابن خلدون:

لقد نظر ابن خلدون للدولة على أنَّها كائن حي يولد وينمو، ثُمَّ يهرم ليفنى، فللدولة عمر مثلها مثل الكائن الحي تمامًا، وقد حدَّد ابن خلدون عمر الدولة بمائة وعشرين عامًا، لأنَّه يرى أنَّ العمر الطبيعي للأشخاص كما زعم الأطباء والمنجمون مائة وعشرين عامًا، ولا تعدو الدول في الغالب هذا العمر إلاّ إن عرض لها عارض آخر من فقدان المطالب، مستشهدًا بقوله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: 34]، وذكر أنَّها تتكون من ثلاثة أجيال كل جيل عمره أربعون سنة، وذلك لأنَّه اعتبر متوسط عمر الشخص أربعين سنة، حيث يبلغ النضج إلى غايته مستشهدًا بقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف: 15].

ولهذا بيَّن أنَّ متوسط عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل، ويؤيد ذلك في حكمة التيه الذي وقع لبني إسرائيل في أربعين سنة، والمقصود بالأربعين سنة فيه فناء الجيل لإحياء ونشأة جيل آخر لم يعهد الذل ولا عرفه.

وقد ضرب ابن خلدون أمثلة لأعمار الدولة على بعض الدول مثل: (المرابطين، والموحدين، والمرينيين في المغرب، وملوك الطوائف في الأندلس، والحمدانيين في حلب).

أجيال الدولة عند ابن خلدون:

الجيل الأول: يعيش في الريف والبوادي حياة بدوية خشنة بعيدة عن الترف، وتتميز بقوة العصبية والبسالة والافتراس "العنف"، والاشتراك في المجد، ويكون جانبهم مرهوب، والناس لهم غالبون.

الجيل الثاني: هو الذي يتحقق على يديه الملك ويؤسس الدولة، وفيه ينتقل من البداوة إلى الحضارة، ومن سكنى البوادي والريف إلى المدن، ومن شظف العيش إلى ترفه، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به، وكسل الباقين عن السعي فيه، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة، وتنكسر فيه سورة العصبية بعض الشيء، ويعيش على ذكريات الجيل الأول.

الجيل الثالث: ينسون عهد البداوة والخشونة كأنَّها لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية، بما فيهم من ملكه القهر، ويبلغ فيهم الترف غايته، ويصيرون فيه عيالاً على الدولة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، وتسقط العصبية تمامًا، ويضطر صاحب الدولة إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة، ويستكثر بالموالي.

الجيل الرابع: لا يكاد يذكره لأنَّه فقد الاحترام والسلطة.

أطوار الدولة عند ابن خلدون:

الطور الأول: هو طور التأسيس، وفيه يكون السلطان جديد العهد بالملك، لذا فهو لا يستغني عن العصبية، وإنَّما يعتمد عليها لإرساء قواعد ملكه، فيكون الحكم في هذه المرحلة مشتركًا نوعًا ما بين الملك وبين قومه وعشيرته، ويتميز هذا الطور ببداوة المعيشة ،وبانخفاض مستواها ،فلم يعرف الغزاة الجدد بعد الترف.ويشترك الجميع في الدفاع عن الدولة لوجود الشجاعة والقوة البدنية.

- **الطور الثاني:** هو الانفراد بالملك، ويرى ابن خلدون أنَّ الانفراد بالسلطة ميل طبيعي وفطري لدى البشر، ولذا فإنَّ السلطان عندما يرى ملكه قد استقر يعمل على قمع العصبية، كما يعمل على الانفراد بالحكم، واستبعاد أهل عصبيته من ممارسة الحكم، وعندئذ يتحول من رئيس عصبية إلى ملك.وقد يفعل ذلك أوَّل من أسَّس الدولة، وقد لا يفعل، فلا تدخل الدولة في هذا

الطور الثاني إلاَّ مع ثاني زعيم أو ثالث، ويتوقف ذلك على قوة صمود العصبية.

ويضطر السلطان إلى الاستعانة بالموالي للتغلب على أصحاب العصبية، أي أنَّه يبدأ في هذه المرحلة الاعتماد على جيش منظم من أجل المحافظة على المُلك.

- **الطور الثالث:** وهو طور الفراغ والدعة: وفي هذا الطور يتم تحصيل ثمرات الملك وتخليد الآثار وبُعد الصيت، فالدولة في هذا الطور تبلغ قمة قوتها، ويتفرغ السلطان لشئون الجباية، وإحصاء النفقات والقصد فيها، ولتخليد ملكه بأن يبني المباني العظيمة الشاهدة على عظمته، وفي هذه المرحلة يستمتع الجميع: السلطان بمجده، وحاشيته بما يغدقه عليها السلطان.
- **الطور الرابع:** هو طور القنوع والمسالمة: وفي هذا الطور يكون صاحب الدولة قانعًا بما بناه أسلافه مقلدًا لهم قدر ما يستطيع، والدولة في هذه المرحلة تكون في حالة تجمد فلا شيء جديد يحدث، وتغير يطرأ، كأن الدولة تنتظر بداية النهاية.
- **الطور الخامس:** هو طور الإسراف والتبذير، ويكون صاحب الدولة في هذا الدور متلفًا لما جمعه أسلافه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته، فيكون مخربًا لما كان سلفه يؤسسون، وهادمًا لما كانوا يبنون.

وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا برء منه إلى أن تنقرض.

ويرى ابن خلدون أنَّ بداية انحلال الدولة يرجع إلى عنصرين هما: انحلال العصبية، والانحلال المالي نتيجة تبذير السلطان، ولهذا تنهار الدولة سياسيًا واقتصاديًا.

الأسس الإسلامية في نظرية الدولة عند ابن خلدون:

بنى ابن خلدون نظريته على أنَّ للدولة أعمارًا مثل أعمار البشر على الأسس القرآنية، فالقرآن الكريم ينص على أنَّ للدولة أعمارًا ينتهي كيانها بنهايتها ،ثُمَّ تخلفها دولاً أخرى أكثر نظامًا ،وأشد قوة ،وأوفر صلاحًا، من ذلك قوله تعالى: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ} [الأنبياء: 11]، والقرية هنا –وفي آيات أخرى– هي الدولة أو الدول، والقرية الظالمة هنا هي الدولة الفاسدة ،فالظلم هو أشد ألوان الفساد.

والمرحلة الثانية في حياة الدولة، وعمرها هي مرحلة القوة والنماء ،ورغد العيش ،ولين الحياة مع الحفاظ على نعم الله ،والامتثال لأوامره ونواهيه ،وهذه المرحلة تستمد من الآية الكريمة {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: 112]، فإذا مالت إلى البطر والظلم انتهى الأمر بها إلى الانحلال والضياع فتدخل في المرحلة الثالثة ،وهي مرحلة السقوط، ويتمثل ذلك في الآية الكريمة: {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} [الكهف: 59].

على هذه الأسس القرآنية استمد ابن خلدون هذه الأطوار الثلاثة، وهي طور النشأة والميلاد، وطور القوة والارتقاء، وطور التفتت والسقوط، أمَّا الطور الثاني في الدولة عند ابن خلدون، فهو مرحلة انتقالية للطور الثالث، والطور الرابع مرحلة انتقالية للطور الخامس، وقد استمد هذين الطورين من الواقع التاريخي للعالم الإسلامي، ومن القرآن الكريم استقى فصله بعنوان "الظلم مؤذن بخراب العمران".

أمثلة أطوار الدولة من واقع الدولة الإسلامية عند ابن خلدون:

– **طور التأسيس:** وقد ضرب ابن خلدون مثلاً بالدولة الإسلامية في طور تأسيسها، وهو عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين، والذي

قضى فيه الإسلام على العصبية القبلية القائمة على التفاخر بالآباء والأنساب ،وحلَّ محلها الأخوة في الدين لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13]، وقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]، فآخى بين الأوس والخزرج وسمَّاهم بالأنصار، وآخى بينهم وبين المهاجرين.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليهم وسلم قامت الخلافة ولم يقم ملك، وكانوا محافظين على حياة البداوة من خشونة العيش والبعد عن الترف بالرغم من أنَّ المال الذي جاءهم من فتوحات الشام والعراق وفارس لا يحصر، وقد بلغ نصيب الفارس الواحد في بعض الغزوات ثلاثين ألفًا من الذهب، ومع ذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرقع ثوبه بالجلد، وبالرغم ممَّا جاءهم من مال حلال من الفيء والغنائم ،لم يكن يصرفهم فيها بإسراف، وإنَّما كانوا على قصد في أحوالهم.

ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد، ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي أو لإيثار باطل على حق، وإنَّما اختلف اجتهادهم في الحق واقتتلوا عليه، وإن كان المُصيب عليًا كرَّم الله وجهه، فلم يكن معاوية رضي الله عنه قائمًا فيها بقصد الباطل، وإنَّما قصد الحق وأخطأ.

طور الانفراد بالمجد: يمثله قيام الدولة الأموية إلى سقوط الدولة العباسية: كان خلفاء بني أمية يسيرون على الحق حتى نهاية عصر عمر بن عبد العزيز، ثُمَّ بعد ذلك استعمل خلفاؤهم طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية، ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد فيها واعتماد الحق، فانصرف الناس عنهم وأيَّدوا الدعوة العباسية، وصرف العباسيون الملك في وجوه الحق ما استطاعوا حتى جاء بنو هارون الرشيد فكان منهم الصالح ومنهم الطالح، ثُمّ أفضى الأمر إلى بنيهم، فأعطوا الملك والترف حقه، وانغمسوا في الدنيا وباطلها، ونبذوا الدين وراءهم فأذن الله بحربهم، وانتزاع الأمر من أيدي العرب جملة.

هذا ولو طبقنا باقي أطوار الدولة على الدولة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي نجد أنَّ الدولة الأموية لمَّا قرَّب بعض الخلفاء عرب الشمال "المضرية" على عرب الجنوب "القيسية" أصبح هناك تناحرًا بين العرب.

وفي عصر الدولة العباسية أدخل الموالي، وأدخل السودان والأتراك والصقالبة والأرمن، وعناصر أخرى كثيرة دخلت في الدولة الإسلامية، تناحرت هذه العناصر، كل يتعصب لبني جلدته، وكل يتعصب لتركيز سلطانه، وبذلك ضعف الخلفاء، وظهرت إمرة الأمراء، وأصبح الخليفة لا حول له ولا قوة، وقوي جند المرتزقة، واستولوا على كل ما في خزانة الدولة، وأصبح الخليفة يسترضي الجند المرتزقة لأنَّهم هم عدته وسلاحه بعد أن أبعد عصبيته، وأهله، فلمَّا تخْلو الخزينة، ويشغب الجند يصبح الخليفة لا قيمة له، ويمشي حافي القدميْن، وتُسمل عينه، ويمكن أن تصبح مدة وزارة شخص يوم أو ثلاثة أيام، أو شهر، وتضعف الدولة، وينقض عليها العداء من كل جانب، كما حدث مع المغول والصليبيين، وينقض المماليك على الحكم كما حدث في مصر ،ثُمّ بعد ذلك تنهار الدولة تمامًا.

والدرس الذي نستقيه من تاريخنا أنَّ أية دولة أيًا كانت تنهار من الدعة والترف.

تاسعا:نظرية التربية في الفكر الخلدوني:

افرد ابن خلدون واضع المقدمة صاحب علم العمران والمؤرخ والفيلسوف والمربي فصلا كاملا في مقدمته لشرح التربية و اساليبها وخصائص المعلم وطالب العلم سابقا علماء عصره في صبغ التربية بالصبغة الاجتماعية وهو ما يتداوله علماء التربية الحديثة ، لذا لابد من معرفة الافكار التربوية لابن خلدون ولا سيما انه عالم اسلامي يمثل تراث التربية الاسلامية.

1- أفكار ابن خلدون التربوية

تكلم ابن خلدون كثيرا عن التعليم ، فتكلم عن تعليم العلوم وتعليم الصنائع او تعليم اللغة دون ان يذكر التربية وان يتناولها بالتعريف وكانه يتكلم عن امور اعتيادية لا تحتاج الى تعريف ، الا انه تطرق الى مسائل تربوية دون تسميتها بمسماها الخاص فمثلا : يقول في فصل الرحلة لطلب العلم " ان البشر يأخذون معارفهم و اخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة محاكاة وتلقينا مباشرة ، الا ان حصول الملكات من المباشرة والتلقين اشد استحكاما و اقوى رسوخا. "

وعلى الرغم من عدم تسمية التربية بمسماها ، الا ان كتاباته ولاسيما مقدمته الشهيرة لا تخلو من النظريات التربوية فمثلا نلاحظ تركيز ابن خلدون على نفس المتعلم بمعنى ان الانتقال في التعلم لا يكون فكريا فقط و انما ايضا خلقيا.

بهذا يقرن ابن خلدون المعارف بالاخلاق و الفضائل ، ويبين مصادر اكتسابها اما عن طريق الفكر او المحاكاة والتلقين او من التعليم الى الممارسة المباشرة.

كذلك ربط ابن خلدون التعليم بالصنائع فالصنائع في راي ابن خلدون تكسب صاحبها عقلا فريدا وبين ابن خلدون اهمية العقل واكتسابه للصنائع والمعارف وزيادة الادراك للمعارف الاخرى اذ يوضح انه كلما اكتسب الانسان معرفه زاد ادراكه للعلوم الاخرى ، كذلك وضح ابن خلدون اهمية بعض العلوم وتفضيلها على بعض

مثال : ركز ابن خلدون على اهمية الكتابة ويقر في فصل الخط والكتابة الوارد في مقدمته اذ يقول ان:

"ان الكتابة اكثر افادة لزيادة العقل وتقوية ملكات الادراك والانتقال"

وذلك لان في الكتابة حسب رايه انتقال من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس فيحصل لها الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة فتكون بذلك زيادة للعقل ويحصل

بها فطنة وكياسة في الامور.

2- العلم في العمران البشري

اعتبر ابن خلدون ان العقل هو منبع العلوم ولم يعتبرها مسالة فقهية كغيره من علماء عصره ، و انما العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري فيقول في ذلك

" : ان الانسان تميز عن الحيوانات بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بابناء جنسه ، والاجتماع المهيا لذلك التعاون ، وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى

والعمل به و اتباع صلاح اخراه ، فهو مفكر في ذلك كله دائما ، لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين بل اختلاج الفكر اوسع من لمح البصر وعن هذا الفكر تنشا العلوم والصنائع"

وبذلك ينظر ابن خلدون الى التعليم من زاوية عمله الاجتماعي ، اذ لاحظ ابن خلدون ان الجيل الناشئ يتشوق الى تلقي العلوم والمعارف من الجيل الذي سبقه فرد بذلك منشا العلم الى الواقع الاجتماعي ، كذلك الحال بالنسبة للاداب والصنائع.

ولم يكتفي ابن خلدون بتقرير منشا العلوم بنزعة اجتماعية و انما اكد ان التعليم يتاثرباحوال المجتمع ، حيث يتقدم التعليم و يتاخر وفقا لاحوال المجتمع كذلك الحال بالنسبة للصنائع فيقول:

"ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته"

والسبب يعود في ذلك حسب راي ابن خلدون الى:

أولا : ان الناس ما لم تستوف العمران البشري وتمدن المدن فيكون همهم الاول تحصيل المعاش و الاقوات ، فاذا ما تمدنت المدن وتزايدت الاعمال حينئذ ينتقل الناس الى الكماليات وبهذا يكون ابن خلدون قد سبق ماسلو في تصنيف الحاجات

الانسانية.

ثانيا: ان الصنائع والعلوم هي للانسان من حيث الفكر يتميز بها عن الحيوان ، فالقوت له حيث الحيوانية والغذائية ، وهي مقدمة على العلوم لاهميتها ، والعلوم متاخرة عن الضروري وبحسب جودة العمران تكون جودة الصنائع استجابة لما يطلب منها من دواعي الترف والثروة.

ويستشهد ابن خلدون في ذلك باهل بغداد وقرطبة اذ يقول : " واعتبر بحال ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفه، لما كثر من عمرانها صدر الاسلام واستوت فيه الحضارة ، وكيف زخرت فيها بحار العلم وتفننو في اصطلاحات التعليم .....ولما تناقص عمرانها انطوى ذلك البساط بما عليه جمله وفقد العلم بها والتعليم "

يقرر ابن خلدون أن العقل الإنساني يشوبه القصور, وأن مراتبه تختلف باختلاف البشر, وخاصة في المراحل الأولى من حياة الإنسان, وقد ذكر أن عقل الإنسان لا يستطيع أن يستوعب العلوم التي تكثر فيها المصطلحات والمؤلفات وقد ذكر في المقدمة "اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم, وتعدد طرقها, ثم مطالبة المتعلم باستحضار ذلك" ويقصد ابن خلدون هنا, كثرة المؤلفات والمصطلحات في العلم الواحد, بحيث يؤدي ذلك إلى نفور المتعلم من التعليم, وابن خلدون يهدف إلى التيسير علم المتعلم وبالخصوص في بداية عهد الطالب بالتعليم.

ومن الدوافع لدى ابن خلدون لكتابة هذا الفصل كثرة طرق التدريس في عهده, حيث انتشر في عهده الطريقة القيروانية والمصرية والبغدادية والقرطبية وغيرها. وكان المطلوب من الطالب أن يميز بين هذه الطرق, لدرجة أنها أصبحت هي المقصودة بالتعليم وهذا خطأ كبيرة فالطرق وسيلة وليست غاية. وفي ذلك يقول ابن خلدون "ثم

إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية, وطرق المتأخرين عنهم والإحاطة بذلك كله, والمتعلم مطالب باستحضارها جميعها وتميز ما بينها, والعمر ينقضي في واحد منها" مما تقدم يظهر لنا أن ابن خلدون نادى بمراعاة قدرات الطلاب, وأن لا نثقل عليهم بما هو فوق طاقتهم, وأن يتم التعليم بيسر وسهولة حتى يقبل الطلاب التعلم, وتزيد الدافعية لديهم, وأن لا يكون التعليم منفراً لهم. وهذا الذي تنادي به التربية الحديثة, وقد ظهرت النظريات المتعددة التي تنادي بمراعاة الفروق الفردية بين الطلاب, كما ظهر مبدأ التدرج في التعليم, والانتقال من السهل إلى الصعب ومن المحسوس إلى المجرد.

3 –عدم إشغال المتعلم بعلمين في وقت واحد:

إن تعليم الطلاب علمين في وقت واحد, يشغل الطلاب ويعرضهم للفشل والإحباط, وذلك لأن عقل الإنسان محدود, وغير قادر على الإحاطة بأكثر من علم في وقت واحد, وفي ذلك يقول ابن خلدون "أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً, فإنه حينئذٍ قلّ أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر, فيستغلقان معاً ويستصعبان, ويعود منهما بالخيبة, وإذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصراً عليه, فربما كان ذلك أجدر بتحصيله

كما أنه نادى أن يتم تعليم القراءة والكتابة ثم الانتقال إلى تعليم القرآن الكريم وحفظه وفهم معانيه, وهو ينتقد المعلمين في عصره لأنهم يصرون على تحفيظ المتعلمين الصغار القرآن الكريم, قبل تعلّم القراءة والكتابة ويقول أن القرآن الكريم هو كتاب الله, وليس لنا أن نقلده, وليس له تأثير في اللغة قبل أن يفهم الناشئة معانيه ويتذوقون أساليبه, ويدركون مقاصده, ويكون ذلك بتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة, وليس العكس مراعاة للترتيب المنطقي . كما أن تركيز ابن خلدون على حصر التعلم في علم واحد, في الزمن الواحد, يؤدي إلى تمرين العقل, ثم يتقبل العلوم الأخرى بسهولة, ويقول

علماء التربية في ذلك أن تدريب العقل بمادة من المواد يجعله قادراً على التفكير في المواد الأخرى ويمكنه في الإجادة في كل مادة, وهذا بسبب انتقال أثر التدريب من هذه المادة إلى المواد الأخرى

3 التدرج في تدريس العلوم للمتعلمين:

4 وهذا من الأشياء التي نادى بها ابن خلدون, وذلك بأن يبدأ المعلم مع طلابه بالبسيط الذي يقبله عقله, ثم يتدرج معهم مستخدماً التكرار مع استعمال الأمثال الحسية, وبذلك يتم للمتعلم الحصول على العلم ويقول ابن خلدون في ذلك "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج" وقد ذكر الحصري أن ابن خلدون قرر ثلاث قواعد عامة للمعلم وهي:

-1على المعلم أن لا يخلط مباحث الكتاب الواحد بكتاب آخر.

-2أن لا يطيل الفواصل بين درس وآخر.

-3أن لا يخلط على المتعلم علمين معاً.

ونلاحظ أن ما قاله ابن خلدون لا يختلف عما ينادي به علماء التربية في الوقت الحاضر, من كيفية التعامل مع المتعلم وخاصة في المراحل الأولى, حيث نادى بالاهتمام بالمعاني العامة, والابتعاد عن التفاصيل, واستخدام الأمثلة الحسية, وفي ذلك يقول "يكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب وبالإجمال وبالأمثال الحسية"

كما أن التكرار الذي طالب به ابن خلدون بقوله "يحصل العلم في ثلاث

تكرارات, وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه" , هو ما تنادى به التربية الحديثة وقد ذكر ناصر , أن المتعلم إذا كرر عملاً معيناً فهذا يسهل عليه التعلم,كما أن تكرار العمل عدة مرات يكسبه نوعاً من الثبات, ويستطيع المتعلم أن يصحح الأخطاء إن وجدت .

كما أن التجارب الحديثة تدل على أن الاستمرار في تكرار ما تعلمناه يساعد على ثباته في الذهن, وبعض التجارب تقول أننا ننسى حوالي 60% من المواد التي يتم تعلمها في حالة عدم التكرار

5 –عدم الشدة على المتعلمين:

لقد انتقد ابن خلدون أسلوب العقاب الذي كان سائداً في عصره, وطلب من المعلمين استخدام الرحمة واللين مع الطلاب فقال: "ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبد في التأديب" , واعتبر أن مجاوزة الحد في العقاب له أضرار على الطلاب ويعمل على إفساد أخلاقه, وبذلك لا يتحقق الهدف من التعليم, ويقول "من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر, وحمل على الكذب والخبث. "

وهذا القول لابن خلدون يظهر رأيه في العقاب, حيث يرفض الشدة على المتعلمين, لأنها مضرة بالمتعلم وتعمل على إفساد أخلاقه وتؤثر على شخصيته, وتعمل على إكساب المتعلمين سلوكيات غير مرغوب فيها. وتزيد القلق والتوتر والخوف في نفوسهم, وقد أشارت دراسات علماء النفس إلى أنه في حالة عدم تمكن الطفل من التخلص من التوتر

النفسي, فإن ذلك يؤدي إلى العدوان والانحراف السلوكي, وقد يؤدي إلى الكذب والسرقة والهروب من المدرسة وغير ذلك من مظاهر الجنوح ,

ومن النظريات الحديثة التي تطرقت إلى الابتعاد عن الشدة على المتعلمين واستخدام الثواب كعامل من عوامل التعزيز, نظرية ثورنديك وفحواها أن الإنسان إذا اقترن عمله بما ينشرح له صدره كالثواب تمكن هذا العمل في نفسه ورسخ في ذهنه, أما إذا اقترن عمله بما ينقبض له صدره كالعقاب فإن هذا العمل لا يتمكن في نفسه ولا يرسخ في ذهنه وذلك على اعتبار أن الإنسان يميل بطبيعته إلى ما يسره, ويتجنب ما يسؤوه

ومع أن ابن خلدون عارض الشدة على المتعلمين للآثار السلبية, إلا أنه لم يدعو إلى التسامح الكلي مع الأطفال فقد أباح العقاب البدني في الضرورة القصوى وبما لا يزيد على ثلاثة أسواط, بشرط أن يكون العقاب آخر العلاج, وبعد استخدام الترغيب والترهيب والتوبيخ والعزل والإهمال, إذن العقاب البدني مباح لتعديل سلوك معين ولكن في أضيق الحدود, وكوسيلة لردع الطلاب من الوقوع في الأخطاء, ويجب أن يتفاوت في شدته حسب الذنب المرتكب, ويقول يوسف أن العقاب من ضرورات التربية, ولكن يجب أن يختلف في شدته ونوعه حسب الذنب, لأنه نوع من الألم مقصود لذاته , لكي يشعر به الذي قصّر أو أهمل, فلا يعاود ما عمله سابقاً, فهذا الرأي لابن خلدون في عدم الشدة مع الطلاب يوافق مع ما يذكره علماء التربية وعلم النفس في الوقت الحاضر.

6-إن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم تخل بالتعليم:

يرى ابن خلدون أن من العوامل التي تقف في طريق التعليم اختصار كتب العلم فقال: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق في العلوم يولعون بها ويدونون منها مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن, وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسراً في الفهم" , وقد ضرب أمثلة على ذلك بابن الحاجب في الفقه, وابن مالك في قواعد اللغة العربية, وقد انتقد ابن خلدون ذلك لأن بعض العلوم تحتاج إلى الإطالة والتكرار, لأن فيها مفاهيم ومعان لا يستطيع المتعلم فهمها بدون الإطالة والتكرار, ولأن اختصار العلوم يصيبها بالخلل وتصبح عسيرة على الفهم وخاصة لصغار المتعلمين, لعدم وجود الاستعداد والقدرة لفهم المختصرات. ويقول ابن خلدون أن الاختصار يفسد التعليم ويخل بالتحصيل ويخلط على المبتدئ في التعليم بإلقاء الغايات من العلم وهو لم يستعد لقبولها.

وهذا يوافق الأبحاث التربوية المعاصرة في أن المتعلم يجب أن يستعد للتعلم, وأن لا يرغم على تلقي العلوم دون الاستعداد الكافي, لأن عدم الاستعداد والإرغام يضيع الجهود المبذولة في التعليم.

7-طرق التدريس:

لم يطلب ابن خلدون من المعلمين استخدام طريقة واحدة في التدريس, وأجاز لهم استخدام الطريقة التي تناسب قدرات وميول وإمكانيات الطلاب لأن التعليم عنده صناعة والصناع يختلفون في طرق صناعتهم, ولكل صناعة طرق مختلفة ويحق للمعلم أن يستخدم كل الطرق أو بعضها لتحقيق الأهداف المرجوة, وهذا الرأي يتفق مع ما يقوله رجال التربية في الوقت الحاضر من أن أحسن الطرق هي التي تناسب المادة الدراسية ومستوى الطلاب, ومع أن ابن خلدون أباح استخدام الطرق التي تناسب

المعلم إلا أنه يشجع على استخدام طريقة المناقشة فالتعليم عند ابن خلدون يهدف إلى حصول المتعلم على ملكة العلم حيث يصبح على درجة عالية من الفهم وليس فقط حفظه دون فهم وتعمق, لذا انتقد ابن خلدون الطريقة القيروانية التي كانت في زمانه تركز على الحفظ بشكل كبير , ووصف الطلاب بأنهم يلتزمون الصمت والسكون التام دون مشاركة.